ر/ 46 ر 963 ص 98

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

2013
Facult 2456

تخصص دراسات مقارنة

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ماستر

الموسومة بـ:

مأساة الطالح البدّاري

بين مالك بن نبي و زغلول سلامة "دراسة مقارنة"

إعداد الطالبتين

- مصطفاي مريم
- مجدوب زبيدة

بإشراف الأستاذ:

أ. بناصر آمال

السنـــة الجامعيـــة : 1432 هـ /1433 هـ- 2011م/ 2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

<< إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت و ما توفيقي

إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب >>

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

<< أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان

عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة

و أثاروا الأرض و عمّروها أكثر مما عمروها و جاءتهم رسلهم بالبيّنات >>

صدق الله العظيم

كلمة شكر

إن كان هذا البحث قد رأى النور و إن كان له حظ من التوفيق فله الفضل الأعظم .

إلى من طوقت عنقينا بجميع مساعداتها في تحمل أعباء هذا البحث و بتوجيهاتها القيمة التي كانت عونا لنا في تذليل الصعاب وبإرشاداتها و نصائحها السديدة التي لم تبخل علينا بها، إلى التي تابعت خطوات عملنا منذ بدايته إلى مشرفتينا الأستاذة : آمال بنّاصر فجزاها الله أحسن الجزاء .كما لا يفوتنا أن نخصّ الشكر إلى الذي كان يد العون لنا و لم يبخل علينا بمساعداته القيمة و الوجيهة الأستاذ " بن كعبة محمد " و إلى كل من مد لنا يد العون من قريب أو بعيد .

مصطفاي

مريم

إهداء

إلى الشمس التي تضيء حياتي ، إلى القلب الذي بث حب العلم و الإيمان في قلبي إلى مصدر إلهامي ومنبع عزيمتي و ملجا سكينتي و مسكن إخوتي ، إلى من غمرتني بدعواتها المباركة إلى نبع العطف والحنان إليك

- أمي الحبيبة -

إلى من زرع ربيعا أخضرا في أعماقي و دفعني بقوة نحو حقول المعرفة و العلم إلى مثال الصمود والتحدي إلى أحق الناس بحسن تقديري إلى أعز البشر في الوجود إليك

- أبي الغالي –

إلى من فرحتهم فرحتي و آلامهم آلامي و انتعاشهم انتعاشي إلى زنابق حديقة الأخوة : "جعفر" ، و "عثمان" و"زكريا" . إلى أختي الغالية" زهيرة "و زوجها و بناتها أسماء و سمية ، إلى أخي و مثلي الأعلى "رضوان" و زوجته .

إلى خطيبي و زوج المستقبل" عبد القادر" وعائلته.

إلى أعز صديقاتي زبيدة ، مختارية ، سناء و زهيرة .

إلى كل الأهل و الأقارب كبيرا أو صغيرا كل باسمه إلى كل الزملاء في مشواري الدراسي

إلى كل أساتذة و ذكاترة الأدب العربي الذين ساهموا في التكوين العلمي و بالأخص الأستاذة المشرفة بنّاصر آمال .

و إلى كل من يتصفح هذه المذكرة يوما ما .

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع متمنية من الله الرضى و التوفيق.

مجدوب زبيدة

إهداء

إلى من هي أحن و ألطف علي من النّسيبم العليل و التي لا يفارقني خيالها و التي عملت الجهد الجهيد من أجل تربيتي و كانت لي السند الدائم و الحافز القوي .

- أمي الحبيبة –

الى من زرع ربيعا أخضرا في أعماقي و دفعني بقوة نحو حقول المعرفة و العلم إلى مثال الصمود والتحدي إلى من كان لي منبعا للثقة و الصبر و حسن القوة

- أبي الكريم –

إلى كل فكر يسبح الله سبحانه و تعالى و يسجد شاكرا في محراب عظمتة .

إلى من فرحتهم فرحتي و آلمهم آلامي و اتعاشهم انتعاشي إلى إخوتي ، اسماعيل ، عمر ، محمد ، وإخواتي زهيرة ، نجاة و زوجها ، وهيبة و زوجها ، و بناتها " الزهرة و امينة "

إلى زوج المستقبل نصر الدين و كل عائلته الكريمة.

إلى جميع الأهل و الأقارب خاصة أبناء الخالة: زبير ، مليكة ، و بنات الخال كل باسمها

إلى كل اأصدقاء الذين عرفتهم في مشواري الدراسي و الجامعي مريم ، مختارية ،زينة.

إلى كل أساتذة و دكاترة الأدب العربي الذين ساهموا في التكوين العلمي و بالأخص الأستاذة المشرفة بنّاصر آمال .

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع متمنية من الله الرضى و التوفيق .

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ،ونستعينه ونستغفره ونعود بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا،من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

تعتبر فكرة الإصلاح فكرة نسبية تختلف باختلاف الظروف والعصور والبيئات، وتعتمد، على عدة جوانب منها السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية.

أما الإصلاح المقصود في بحثنا هذا فهو وعي الأمة أو بعبارة أخرى وعي زعماء الإصلاح بعد أن أصبحوا يشعرون بآلام شعوبهم ويدركون الأخطار المحدقة بهم ويفكرون بعمق في أسباب الداء ووصف الدواء.

ولما كان موضوع الإصلاح موضوعا شاسعا في الحضارتين العربية والغربية ، يكاد يكون من المستحيل الإلمام بجوانبه المختلفة في بحث واحد، فقد اخترنا شخصيتين إحداهما عربية و الأخرى أوربية فمثلنا منهج الإصلاح في الجانب الحضاري فتعقبنا خطاهما وتتبعنا مسيرتيهما وهما: المفكر الجزائري الكبير "مالك بن نبي " و المستشرقة الألمانية الشهيرة "زيغريد هونكة " التي بينت في العديد من كتبها أثر الحضارة العربية على الحضارة الأوربية ، ولعل الأسئلة التي تطرح نفسها هي : ما علاقة الإصلاح بين الحضارتين العربية والغربية ؟ وإلى أي مدى يكمن فضل العرب على الغرب؟ وما مدلول الإصلاح الحضاري بين زيغريد هونكة ومالك بن نبي؟.

إن الهدف الرئيسي لهذا البحث هو الإجابة عن هذه الأسئلة التي تطرح نفسها أمام الباحث وهو يقرأ للإصلاح والحضارة .

لقد قسمنا بحثنا هذا إلى مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وأنهيناه بخاتمة.أما المدخل فقد تضمن دراسة موجزة للحضارة بصفة عامة والإصلاح بصفة خاصة.و يلي هذا المدخل الفصل الأول الذي يشمل الإصلاح الحضاري عند مالك بن نبي فتناولنا ضمنه أسس المشروع الإصلاحي وتطرقنا إلى أنواع ونظريات الإصلاح الحضاري مبرزين ما يتميز به كل نوع ونظرية، أما الفصل الثاني فحاولنا من خلاله توضيح رؤية زيغريد للإصلاح وأثر الحضارة العربية على الحضارة الغربية، ودعمنا هذين الفصلين بفصل ثالث تناولنا فيه المقارنة بين الفصلين.وأنهينا بحثنا هذا بخاتمة لخصنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

ويبدو جليا من خطة البحث أننا اعتمدنا المنهج التاريخي التحليلي الذي رأيناه الأمثل لمعالجةهذا الموضوع.

ومن الكتب الأساسية التي اعتمدنا عليها نذكر:

- وجهة العالم الإسلامي.
- بين الرشاد والتيه.
- الحضارة الإسلامية وأثرها على المدينة الغربية لموسى عبد اللاوي .
- شمس العرب تسطع على الغرب لزيغريد هونكة .

وما لاحظناه بمكتباتنا الجامعية قلة المصادر والمراجع التي تناولت زيغريد هونكة والإصلاح بصفة عامة.

وإننا لنبتهل إلى الله الحق والصدق والصواب ويهدينا سواء السبيل وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه ننيب.

المدخل :

يعد مفهوم الحضارة من الإشكاليات التي تعددت حولها النظريات ، و من القضايا التي درسها العديد من المفكرين و الفلاسفة ، حيثوا بحثوا في أسباب نشأة و تطور و إنهيار الحضارات ، و كشفوا عن التحولات الإقتصادية و السياسية و الإجتماعية التي تلحقها .

مفهوم الحضارة :

" كلمة الحضارة بفتح الحاء أو كسرها " تعني في العربية الإقامة في الحضر أي في المدن و القرى بخلاف البداوة ، و هي الإقامة المتنقلة في البوادي ، و في لسان العرب "الحضر" خلاف البدو ،والحاضر خلاف البادي ، و الحضارة الإقامة في الحضر (لسان = الحضر) فأصل المعنى هو الإستقرار . والإستقرار هو الذي ينشأ عن زراعة الأرض ، هو السبيل الذي تتاح فيه لأبناء المجتمع مجالات التطور [1]

<< و تعرف كلمة حضارة في معجم متن اللغة كما يلي : الحضارة = ضد البداوة، و الإقامة في الحضر أخص من ذلك ، الطباع المكتسبة في الحضر ، و أطلق مجتمع مصر اسم الحضارة على ما يسمى بالفرنسية civilisatioin . و اسم التحضير و التمدن على ما يسمى بالإنجليزية urbanisation والحضارة = خلاف البداوة = الإقامة في الحضر و هي كلمة مرادفة (للمدينة) >> [2]

و استعمل لفظ الحضارة لأول مرة استعمالا علميا في القرن 19 عندما ذكر في قاموس الأكاديمية الفرنسية سنة 1835 و معناها عكس التوحش

---

[1]) د . سلامة صالح نعيمات و اخرون ، الحضارة العربية الاسلامية ، الشركة العربية المتحدة 2008-2009 ص 07

[2]) امنة تشيكو ، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي و ارنولد تونبي المؤسسة الوطنية لكتاب الجزائر 1989 ص 18

وإذا أردنا تعريفا اصطلاحيا للحضارة فلا نجد لها مفهوما واحدا موحدا و شاملا ،بل نجد لها عدة تعاريف متنوعة و متعددة تعكس مدى عمق دلالتها ، فمن المفكرين المعاصرين الذين كتبوا عن الحضارة و انشغلوا بها ، و خصصوا فكرهم لها و حاولوا حل لغزها و كشف أسرارها ، المفكر الجزائري مالك بن نبي فهو يرى أنها تحتل مكانة جوهرية في نظريته الإجتماعية إن لم نقل أنها الإشكالية الأساسية التي يتحرك في حدودها كل تفكيره ، يقول محمد عبد السلام الجفائري: " لقد عاشت فكرة الحضارة في عقله ووجدانه و شغلت تفكيره في كل كتاباته ، إلى درجة نستطيع أن نقول معها أن الفكر الإسلامي المعاصر لم يشهد تقريبا مفكرا شغلته قضية الحظارة مثل مالك بن نبي الذي يعتبر شخصية فكرية خصبة جذيرة بالدراسة ، و هو المفكر الذي اهتم بالجانب الحضاري و فلسفة التاريخ والإجتماع، و شغلته مشكلات أمته فعالجها بروح موضوعية "[1]

يتصور مالك بن نبي أن مشكلة الحضارة تنحل إلى ثلاث مشكلات أولية : مشكلة الإنسان و مشكلة التراب و مشكلة الوقت : و يقوم بعملية التحليل جد مركزة الاستعصار ليخلص في النهاية أن أي مجتمع في نقطة إنطلاقه ليس مامه من راس مال سوى هذه العناصر الثلاثة و من ثم استطاع صياغة معادلته الحضارية الشهيرة المتمثلة في : حضارة = إنسان + تراب + وقت [2]

أما ابن خلدون فيعرفها بقوله : " الحضارة انما هي تفنن الترف و احكام الصنائع المستعملة في وجوه الترف و مذاهبه من المطابخ و ملابس و مباني و فرش و سائر عوائد المنزل و أحواله "[3]

ويفرق ابن خلدون بين المصطلحين الوبر الذي يدل على أهل البادية و على المدر و هو الذي يدل على الطين المتماسك عند أهل المدينة .

---

[1]) زكي ميلاد مالك بن نبي و مشكلات الحضارة ، دراسة تحليلية و نقدية دار الفكر دمشق ، ط 1 1998 ص 73

[2]) ينظر : الكبار عبد العزيز قراءة معرفية لمفهوم الثقافة عند مالك بن نبي ، رسالة الماجيستير 2001-2002 ص 81

[3]) ابن خلدون المقدمة ، دار القلم بيروت ، الطبعة الخامسة 1984 ص 102

و قد استمد مالك بن نبي فكرة الدورة الحضارية من ابن خلدون و نقلها من مجال دراسة الدولة إلى مجال أوسع و هو الحضارة ن وفي هذا الصدد يقول : "إن ابن خلدون كان يمكن أن يكون أول من أتيح له أن يصوغ قانون الدولة الحضارية لولا إن مصطلح عصره قد وقف به عند ناتج معين من منتوجات الحضارة ، و نعني به الدولة ، و ليس عند الحضارة نفسها . "[1]

أما أرنولد توينبي فقد تبلورت أفكاره من خلاله نقده للنظرية شبنغلر في كتابه (أفول الغرب) الذي أثار قلقه على مصير الحضارة الغربية فعكف على دراسة الحضارة السابقة في محاولته لمعرفة عوامل تدهورها و سقوطها ..... و يقارن الدكتور محمد الهادي حاج مير في مقاله نشر سنة 1962 في المغرب بين المؤرخين فيقول : "إن كانت المدرسة الشبنغلرية توصف بانها (رياضية حتمية) فإن مدرسة توينبي تسندها الإيمان مع عدم التشاؤم إيزاء المستقبل و المجتمعات في نظره ليست كما يقول شبنغلر كائنات عضوية ..." [2]

إن النغم الرئيسي في سنفونية تونبي صرخة تحذير من الخطر الكبير الذي يلحق بمستقبل العالم الغربي و يهدد حضارة الدول الصناعية بالسقوط و بالرغم من أن توينبي يختلف مع شبنغلر في حتمية أفول الغرب[3]

اضطلع توينبي على أهم الحضارات القديمة و الوسيطة و قد ساعده في ذلك دراسته العميقة للغتين اليونانيتين و اللاتينية قبل أن يدرس التاريخ و الحضارة كما درس بإتقان و إمعان إحدى و عشرين حضارة : ست منها نشأت في المجتمعات الأولية الأصلية : المصرية، الصينية ، المايانية ، السومرية ، المينونية ، والهندية أما باقي الحضارات الخري فيطلق عليها مصطلح الحضارة المشتقة أي تلك

---

[1]) الكبار عبد العزيز قراءة معرفية لمفهوم الثقافة عند مالك بن نبي ، رسالة الماجيستير 2001-2002 ص 77

[2])المرجع نفسه ص 77

[3]) امنة تشيكو ،مفهوم الحظارة عند مالك بن نبي و ارنولد تونبي المؤسسة الوطنية لكتاب الجزائر 1989 ص 69

الحضارات التي انبثقت من الحضارات الأصلية و هو يتفق مع شبنغلر في القول بأن كل حضارة تمر بثلاث مراحل هي مرحلة الميلاد مرحلة النمو و مرحلة الإندثار ، غير أنه لا يحدد عمرا معينا لكل حضارة كما تصور ابن خلدون و لم يستخدم الفصول الربعة التي حددها شبنغلر لوصف مراحل الحضارة [1].

مفهوم الإصلاح: الإصلاح هو تقويم الشيء و إزالة الفساد عنه .

مادة الإصلاح مشتقة من الفعل أصلح و صلح و صلّح ، وتدل على تغيير على تغيير حالة الفساد إلى الحالة الضدية و هي الصلاح .

أما الإصلاح في مفهومه الواسع فيتجسم في الثروة أو بعنى أخر التغيير للأوضاع السياسية و الإجتماعية أو الدينية أو الفكرية أو الثقافية .[2] ويعرفه قاموس اكسفورد الإصلاح هو إزالة الخطا أو تعديل أو التبديل نحو الأفضل ، و خاصة في المؤسسات و الممارسات السياسية الفاسدة أو الجائزة ، و الإصلاح عنده يوازي فكرة التقدم و ينطوي جوهريا على فكرة التغيير نحو الأفضل و خاصة التغيير الأكثر المعين من حقول النشاط الإنساني ، ويمكن التمييو بين ثلاث مستويات للإصلاح هي :

النوع الأول : و يتمثل في إستراتيجية الثورة أو الإتجاه الثوري في التغيير

النوع الثاني : بوصفه عملية تطوير مجتمعي مستمرة تتعلق بتحسين أداء الأنظمة و المؤسسات الإجتماعية من حيث الكفاءة و الفاعلية ، و هو ما نطلق عليه الإصلاح السياسي أو القانوني أو المالي أو الإداري أو الإقتصادي و غير ذلك

النوع الثالث : الإصلاح الفردي ذو الأبعاد الأخلاقية و النفسية و المعرفية والإدراكية و السلوكية ، و كل ما يتعلق بتقويم النفس و تهذيبها [3].

---

[1]) ينظر : الكبار عبد العزيز قراءة معرفية لمفهوم الثقافة عند مالك بن نبي ، رسالة الماجيستير 2001-2002 ص 77-78

[2]) عمارة حياة ، الاتجاه الاصلاحي في شعر محمد العيد ال خليفة رسالة المجيستار 2001 – 2002

[3]) رواء زكي الطويل ، مبادرات التغيير و الاصلاح في الامن الدولي ، دار ليلة للنشر و التوزيع ص 11

إن مفهوم الإصلاح المنتشر في الثقافة الإسلامية الحديثة يجد مكانة جيدة في اللفظ القرءاني حيث الحقل الدلالي واسع جدا و من الإستعمالات القرءانية المختلفة التي يمكن إحصاؤها للفظ أصلح ، ما يفيد معنى الصلح و ما ما يفيد معنى القيام بعمل صالح أما المصلحون فهم في هذا المعنى من يقوموت بالفعل الصالح و بإصلاح أحوال الناس ، و هكذا يضع أنصار الإصلاح عملهم في خط الأنبياء المصلحين .... و لكنهم يستندون على وجه التخصيص إلى رسالة النبي محمد صلى الله عليه و سلم الذي يعتبر المصلح بإمتياز .[1]

و الإصلاح يضرب بجذوره في المنابع الأولى للإسلام و لذلك لا تدرس علاقته بتيارات الأفكار التي ظهرت في العالم الإسلامي في بداية الحقبة المعاصرة فحسب بل ينبغي الإنتباه إلى هذه السلطة المرجعية التي تؤسس شرعيته في التداول الفكري المعاصر ، و تجعل من الفعل الإصلاحي متجها إلى تصويب صورة الحاضر على مثال الماضي بل وشحنه بطابع الديمومة و الإستمرار في حياة الجماعة الإسلامية و ثقافتها .

و يبدو هذا التصور مبدأ من مبادىء الإسلام و هو الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الإصلاح عند المسلمين هو تصويب ما اعوج في ممارسة امور الدين و الدنيا ، و العودة بها إلى الأصل الذي لم يلحقه فساد الزوائد و المحادثات .[2]

وهو يتداخل مع معنى التحديث و الإجتهاد فالفعل الإصلاحي ، فعل تحديث أو عصرنة و هو عند الأوروبيين إدارة منظمة تؤمن للجميع و خاصة للتجار الجرية و الأمن و يتحول معها البلد إلى بلد منتج ، و تتحسن الخزينة السلطانية ليحظى المخزن بإحترام و تدار الامور على قاعدة الحق العام المعمول به ، أما الفقهاء فقد اعتبروه بمثابة العودة إلى دولة الحق أي بتطبيق دقيق للشرع ،

---

[1]) عبد الاله بلقزيز ، خطاب اصلاحي في المغرب ، تكوين و مصادر دار المنتخب العربي بيروت ، لبنان ط 1 1417 – 1997 ص 13

[2]) المرجع نفسه ص 13-15

وهكذا "كان الإصلاح عند الأولين قانونيا أساسا بينما هو عند المتأخرين أخلاقيا قبل كل شيء ..."[1]

إن مفهوم الإصلاح الشامل الذي ينشده التيار الإسلامي ، يدور حول معنى التنمية الدائمة التي تتعلق بالإنسان و الدولة و المجتمع و يشمل جميع نواحي الحياة السياسية و الإقتصادية و الثقافية التي يشكل فيها الإنسان مركز دائرة و تلتف حوله دوائر كثيرة اهمها دائرة الحرية التي بغيابها تحل بالشر أغظم كارثة ، و تتجسد في حياتهم أعلى صورة من صور الفساد في الأرض ذلك أن الله سبحانه و تعالى خلق الإنسان و منحه الحرية و عندما تصادر هذه القيمة الإنسانية ، فإنما تتم المصادرة على معنى وجود الإنسان من الأساس و تلك ابشع جريمة ترتكب على وجه الأرض بإعتبار إن رسالة جميع الرسل و الأنبياء تهدف في الأساس إلى تحرير الإنسان من العبودية لغير خلقه سبحانه و تعالى .[2]

و لعل قوله تعالى : " فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر " [سورة الكهف الآية 29] أكبر دليل على مدى الحرية التي منحها الله عز وجل لعباده في هذا الصدد يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " متى استعبدتم الناس و قد ولدتهم أمّهاتهم أحرارا " ورأى أن هناك بهض الحقائق حول الحرية ينبغي الإحاطة بها حيث لا توجد هذه الأخيرة بدون قدرة و من يقول أنه حر لا بد أن يملك مقومات الرفض و مقومات القبول ، ولا يوجد مجال للحرية بالمعنى المطلق حيث لا بد لها ان تتماشى مع قيم المجتمع و مبادئه و أعرافه [3].

ويبدو أن الإصلاح الهام مفهوم قد شاع في خطاب السياسي و هو ترجمة للكلمة الإنجليزية reform نتيجة لما دعت إليه العوامل الداخلية و الخارجية وأملتها سياسات مقاومة للإرهاب في الدول العربية و العالم الإسلامي ، و هذا

---

[1]) عبد الاله بلقزيز ، خطاب اصلاحي في المغرب ، تكوين و مصادر دار المنتخب العربي بيروت ، لبنان ط 1 1417 – 1997 ص 16

[2]) د : زكي رواء الطويل مبادرات التغيير و الاصلاح في الامن الدولي ، ص 16

[3]) د : زكي رواء الطويل مبادرات التغيير و الاصلاح في الامن الدولي ، ص 16 -17

المفهوم يتضمن حركة و تحريكا لأوضاع المجتمع ضمن سياسة معينة ، كالإصلاح الضريبي أو من قطاعات كالإصلاح الثقافي أو التعليمي أو الإقتصادي و قد تكون في رؤية شاملة تمتد في معظم قطاعات المجتمع [1].

و للإصلاح عدة مفاهيم من بينها التجديد و التغيير و الإبتكار و الإختراع و التطوير و التحديث و ما شابه ذالك ، حيث يقول أحد أعلام الكتاب في شرحه لمعنى الإصلاح : " إنه مصطلح غامض غير محدد و الإنسان عادة ينظر إلى الإصلاح على أنه يتضمن تغييرا [2].

وعلى هذا فكل المصلحين على اختلاف عصورهم و بيئاتهم و مكوناتهم الشخصية لديهم مرجع واحد هو الكتاب و السنة ويعتبرون أمام المرسلين محمد صلى الله عليه و سلم في نشاطهم الإصلاحي و التجديدي، و من واجب هؤلاء المصلحين أن ينوروا العقول و يبصروها و يكشفوا للغارقين في الجهل الحق من الباطل و الصالح من الفاسد و النافع من الضار .[3]

[1]) ينظر ا د حامد عمار ، الاصلاح المجتمعي اضاءات ثقافية و اقتصاءات تربوية ، مكتبة دار العربية للكتاب ط 1 1426 -2006 ص 21
[2])ينظر الدكتور محمد منذر مرسي ، الاصلاح و التجديد التربوي في العصر الحديث 1996 ص 06
[3]) ينظر محمد صالح الصديق الاجتهاد و التجديد في الفكر الاسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية 2009 ص 63 -66

الفصل الأول :الإصلاح الحضاري عند مالك بن نبي :

المبحث الأول : نبذة تاريخية عن حياة مالك بن نبي

1- مالك بن نبي : مولده و نشأته و تعليمه

2- مصادر فكره

3- رجال الإصلاح في فكر مالك بن نبي

4- مؤلفاته

المبحث الثاني : أسس المشروع الإصلاحي

المبحث الثالث :أنواع الإصلاح الحضاري

1 - الإصلاح الديني

2- الإصلاح السياسي

3 - الإصلاح الإقتصادي

المبحث الرابع : نظريات الإصلاح الحضاري في فكر مالك بن نبي

1- النظرية النفسية الحضارية

2- نظرية التغيير

3- النظرية الوسطية

4- النظرية الإجتماعية الحضارية

5- النظرية المعيارية الحضارية

المبحث الأول: نبذة تاريخية عن حياة مالك بن نبي:

لقد حاول الإستعمار الفرنسي أن يقتلع الجزائر من جذورها التاريخية و الحضارية ، و أن يجعلها تابعة لفرنسا تاريخيا و ثقافيا و إجتماعيا و دينيا و حضاريا و قد دافع الجزائريين عن بلادهم سياسيا كما دافعوا عنها فكريا و ثقافيا كذالك و تصدوا لمشاريع الإستعمار الثقافية و الفكرية مثلما فعل ابن باديس و مالك بن نبي و غيرهما من العلماء .

1- مالك بن نبي : مولده و نشأته و تعليمه :

هو مفكر جزائري من الكتاب العرب القلائل الذين عالجوا قضايا الإنسان المعاصرة ، و مظاهر التخلف و التطور في المجتمعات الحديثة ، كما بحثوا في أوجه الإصلاح التي يمكن أن تحقق النهوض بالبلدان التي تخلصت من الإحتلال العسكري [1]، و في خضم الواقع التاريخي المأساوي الذي عاشه الشعب الجزائري في بداية القرن العشرين .

ولد مالك بن نبي في أول يوم من شهر يناير 1905 م بمدينة قسنطينة ولد لعائلة جد فقيرة و كانت هذه العائلة من ضحايا الإستعمار ، فأبوه كان عاطلا عن العمل و جده لأبيه " باع كل ما تبقى بحوزته من أملاك العائلة وهاجرالجزائرالمستعمرة ليلجأ لطرابلس الغرب " ، أما الطفل مالك فتكفل به عمه الأكبر الذي كان ميسور الحال نسبيا ، و الذي كان مقيما بقسنطينة ، وبعد وفاته عاد مالك مع أرملة عمه إلى مدينة تبسة حيث يقيم والده وعند هذه الفترة العصيبة يقول مالك : " لقد كانت هذه الفترة في حياتي شديدة العسر " فاشتغلت

[1]) : د عمر بن قينة ، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (اعلام ... و قضايا .... و مواقف) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، معهد الادب العربي – جامعة الجزائر 1993 ص 259 .

أمه مهنة الخياطة و العمل الإضافي لتحمي أسرتها من الجوع وتوفير لأطفالها ما يسدّون به الرمق[1] .

تعلم مالك بن نبي بالكتّاب لأربع سنوات فقط نظرا للظروف القاسية التي تعاني منها العائلة و لم يحفظ من القرآن إلا القليل منه جدّا و هذا لعقم الطرق التربوية التي كانت سائدة في التدريس.

دخل مالك إلى المدرسة الإبتدائية بتبسة ، ثم إلتحق بقسنطينة حتى تحصل على الشهادة الإبتدائية ، وواصل تعليمه الإعدادي إلى غاية سنة 1918 م ، و رغم حصوله على درجة جيّدة ، لم يسمح له بالدخول للمدرسة الثانوية ، فاضطر للدخول إلى الإكمالية بغرض الإعداد للدخول للثانوية الرسمية ، فتقدم للإمتحان لدخول المدرسة الثانوية سنة 1920م، و تحققت أحلامه بنجاحه ، فاصبح ينتمي إلى النظام الداخلي عوض إقامته في بيت عمه ، و كانت أول سنة دراسية له في الثانوية سنة 1921-1922 م .[2]

و بعد انقضاء أربع سنوات من الدراسة بالثانوية تخرّج مالك بن نبي سنة 1925 م ، و تأهل مع أبناء الفرنسيين رغم المضايقات و رغم تعدد أنواع الإقصاء و التمييز ، و في الفترة الأخيرة كثر تنقل مالك بن نبي بين مدينتي قسنطينة وتبسة، و بدأت مداركه تتسع و ملاحظاته تزداد ، فتعرف على الطريقة العيساوية المنتشرة بمدينة قسنطينة و التي كان جده أحد أتباعها و الأدب العربي ، فاضطلع على أم القرى للكواكبي ، و رسالة التوحيد لمحمد عبده، و الصحافة العربية كالمنتقد و العروة الوثقى، و كذلك اضطلع على الأدب الفرنسي و الصحافة الفرنسية ، و تعرف على المدارس الإصلاحية وبعض زعمائها ، و تعرف على

---

[1]) : الدكتور ابراهيم الطيب ، مواقف و افكار مشتركة بين مالك بن نبي و ابن خلدون دار مدني . ص 30

[2]) : ينظر الدكتور بن ابراهيم الطيب ، مواقف و افكار مشتركة بين مالك بن نبي و ابن خلدون ، دار مدني – ص 32 .

بعض تلامذة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، فشعر أنهم ينتمون الى الخط الفكري عينه الذي ينتمي إليه [1] .

رحل مالك إلى مصر و أقام بها نتيجة لمطاردة الإستعمار الفرنسي له وهناك كتب " شروط النهضة " باللغة الفرنسية التي يجيدها ، و قد لقي الكتاب كما لقي مالك بن نبي نفسه شهرة واسعة لدى الشعب المثقف المتعطّش إلى الأفكار الجديدة ، و قد وجد بعض ما كان يرجوه في مؤلّفات مالك بن نبي و التي أودعها كل تجاربه العلمية و صاغها طبقا لمنهج فكري جديد و لم يمضي وقت طويل حتى أصبح رائد مدرسة جديدة في الفكر الإسلامي المعاصر [2].

- كانت مواقف ابن نبي الفكرية خاصة ، و مواقفه من الإستعمار و عدم رضوخه لضغوطه و مساوماته هي ما حال دون توظيفه و دون تحقيق أحلامه في الهجرة إلى بعض البلدان الإسلامية ، و هكذا وجد نفسه وجها لوجه أمام أعاصير الإستعمار: " كنت أعيش بباريس و أحمل بها وحدي لواء الإصلاح في وجه العواصف و الأعاصير التي يثيرها الاستعمار على خصومه " [3] .

لقد عاش مالك بن نبي في فرنسا و كان في كل عطلة صيفيّة يزور الجزائر وبدأ يتقرب أكثر لبلده فلاحظ مدى معاناة شعبه و مدى الإنحطاط الحضاري الذي آل اليه الوضع العربي الإسلامي ، و ما فرضه الإستعمار عليه من هيمنة و ذل وقهر و استغلال و كان مالك يرى أن من الواجب مقاومة ذلك ، كل في مجال تخصصه و ميدانه ، و كان يؤمن بالتغيير الذاتي ، فجاءت صرخته موقظة لشعبه و فاضحة للمستعمر ، جاءت أفكاره في كتبه معبرة عن ضرورة التغيير [4]، و كان

---

[1]): ينظر اسعد السهراني ، مالك بن نبي مفكرا اصلاحيا ، دار النفئس بيروت .ط1 (1404-1984)

[2]) : ينظر امنة تشيكو ، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي و ارنولد توينبي ، ص 67 .

[3]): ينظر: عمر المسقاوي ، شاهد للقرن ، ص 167 .

[4]) : ينظر : د . بن براهيم الطيب ، مواقف و افكار مشتركة بين مالك بن نبي و ابن خلدون دار مدني ص 38 .

شعاره في ذلك قول الله تعالى في الآية الكريمة :" إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم " [*الآية 11. سورة الرعد*]

البحث عن العمل :

سافر مالك بن نبي مع صديق له يدعى" قاوار " بحثا عن العمل ، فزار مرسيليا و ليون وعرجا على باريس فلم يحضيا بعمل مناسب ، ثم عاد إلى الجزائر و بالتحديد إلى تبسة ، و كان يتردد على ناد يديره الشيخ العربي التبسي ، عمل كمساعد في المحكمة مع المكلّفين بتنفيذ الأحكام في الأرياف المجاورة لتبسة إلى أن عيّن رسميّا كاتبا في المحاكم في أذار 1928 ، عاد إلى قسنطينة وإلتقى لأول مرّة بابن باديس و أصبح شريكا في مطحنة مع صهره ، و لكن لم يحالفهم الحظ طويلا فباعوا المطحنة ، و بعدها إقترح عليه والده أن يسافر إلى باريس ليكمل دراسته ، و في سنة 1930 قام بتسجيل اسمه لإمتحانات القبول بمعهد الدراسات الشرقيّة . و في عام 1931 تزوّج من فرنسية بعدما اعتنقت الإسلام و صار اسمها خديجة و بذالك تغيرت حياته ، فوفرت له خديجة كل الراحة والرعاية البيتيّة ، و هناك بدأت لقاءاته مع كثير من زملاء الدراسة و العمل للإصلاح ، و كان أبرزهم حمودة بن السّاعي [1] .

عاد إلى الجزائر في صيف 1932 فوجد موجة الإصلاح تشمل كل أرجائها، و في سنة 1934 فجع بوفاة والدته ، و بعدها بدأت مشكلة جديدة عنده حيث أجمع أفراد عائلته على تزويجه من ثانية لأن خديجة لا تنجب و الكل يريد له أولادا لتحقيق أمنية والدته [2]

عمل مالك بن نبي من أجل الإصلاح في وسط الجزائريين و العرب والمسلمين عموما دون خوف من النتائج لذلك حاربه الإستعمار . بعد سنة

---

[1]) : ينظر عمر المسقاري ، شاهد للقرن ص 113 .

[2]) : ينظر : اسعد السهراني ، مالك بن نبي مفكرا اصلاحيا ، دار النفائس ، بيروت ط1 1404 ، 1984 ص 13

1956 انقطعت علاقته مع فرنسا و لم يزرها قط ، و بقيت له علاقة بالمراسلة مع زوجته الفرنسية لوفاءه لها و كان يرسل لها بعض المساعدات المالية، وفي القاهرة اتّصل بالرئيس جمال عبد النّاصر ، و خصصت له الحكومة مرتّبا شهريّا ، مما ساعده على التفرّغ للعمل الفكري بقي في مصر حتى عام 1963 بعد إستقلال الجزائر حيث أصبح مدير التّعليم العالي ، أتقن اللّغة العربية و بدأ يكتب و يحاضر بها ، كان بيته مدرسة ثقافية يقصدها الطلبة من عرب ومسلمين يستمعون إلى أفكاره و رؤيته لمسألة الإصلاح ، و أثناء وجوده في القاهرة زار سوريا و لبنان لإلقاء الندوات و المحاضرات حول الإصلاح والثورة و كيفيّة مواجهة الإستعمار .

كان مالك أحد مستشاري المؤتمر الإسلامي في القاهرة ، و فيها كانت أعلى مراحل عطائه الفكري ، تزوّج مرة ثانيّة بقريبة له و أنجبت له توأم بنات (إيمان و نعمت) سنة 1961، و في سنة 1963 عمل مديرا للتّعليم العالي ولكنه إستقال من منصبه سنة 1967 ليتفرغ إلى العمل الفكري والإصلاحي [1]

مصادر فكره :

استقى مالك بن نبي فكره من مصادر عدّة منها :

1 - تأثيره بالعائلة و المحيط حيث كانت الحاجة زليخة مدرسته التي تكونت فيها مداركه ، و ذلك ببراعتها في رواية القصص التي كانت تدور حول العمل الصالح، و منها عرف أن الإحسان في مرتبة عليا من الخلق الإسلامي .

أما والدا مالك بن نبي فقد حرصا على تكوينه تكوينا دينيا إسلاميا ، فجعلاه يثابر على تعلمه القرآن ، وحين نجح في مسابقة الحصول على منحة قصد الإستعداد للدخول الى معهد المعلمين ، كان التوجيه الذي أراده له أبواه هو أن يصبح عدلا في الشرع الإسلامي الأمر الذي جعل مالك بن نبي يحس بأنه صاحب رسالة .

---

[1]) : ينظر : اسعد السهراني ، مالك بن نبي مفكرا اصلاحيا ، دار النفائس ، بيروت ط1 1404 ، 1984 ص 14 -19

أما من حيث تأثره المبكر بالمحيط الذي عاش فيه ، في قسنطينة و تبسة ، فبيئة تبسة و التي تمكن أهلها من المحافظة على فضائلهم و أخلاقهم و تقاليدهم أورثت مالك بن نبي التمسّك بالأصالة ، أما البيئة القسنطينية و هي حاضرة من حواضر الجزائر الكبرى أورثته التفتّح على الأخرين و مكنته من ولوج باب المعاصرة [1]

2 – التكوين في المدرسة و تأثير الأساتذة .

بدأ مالك بن نبي دراسته قبل أن يدخل المدرسة الفرنسية في مدرسة خاصة بتعليم القرآن الكريم في تبسة ولما أرسله أبواه إلى المدرسة الفرنسية و استمر في التردد على مدرسة تعليم القرآن ..... هكذا أتيح له أن ينهل من ثقافتين و نوعين من المعلمين : المثقفين ثقافة عربية ، إسلامية و المعلمين ، المثقفين ثقافة غربية فرنسية و نذكر منهم :

- ✓ الشيخ عبد المجيد : و كان مدرسا في معهد تكوين المعلمين و يذكر مالك بن نبي أنه تلقى عنه دروسا في اللغة العربية ، و النحو ، و الصرف ، و قسطا من الشعر ، بالإضافة إلى هذا فقد كان لآراء الشيخ عبد المجيد في المجتمع و انتقاداته للبدع ، و كراهيته لتصرفات الإدارة الفرنسية وتهجمه على تجاوزاتها أثرا بالغا على مالك بن نبي .
- ✓ الشيخ مولود بن موهوب : وهو مفتي مدينة قسنطينة ، و أستاذ التوحيد والسيرة النبويّة الشريفة في معهد تكوين المعلمين ، غرس في قلب مالك بن نبي و زملائه حب الحركة الإصلاحية وجذبهم إليها .
- ✓ الشيخ بن عابد : و هو أستاذ الشريعة الإسلامية بالمعهد المذكور آنفا و على الرغم من أنه لم يؤثر في فكر مالك بن نبي و شخصيته تأثيرا مباشرا وبليغا ، فقد مكنته دروسه في الفقه من اجتناب الوقوع في متاهات الفكر الغربي و خاصة مغريات علم النفس و نظرياته [2]

3 – المعلمين المثقفين ثقافة فرنسية غربيّة .

- المعلم الفرنسي ميسيو مارتان : مدرس بمدرسة (سيدي الجلب) بقسنطينة، كان له التأثير البالغ في امتلاك مالك بن نبي لزمام اللغة الفرنسية و في شغفه بالمطالعة.

---

[1]) : د . يوسف حسين نقد مالك بن نبي للفكر السياسي ، الغربي الحديث ، دار التنوير ط1، 2004، ص 33

[2]) المرجع نفسه ص 37-39

- المعلم الفرنسي بوبريتي : مدرس تاريخ العصور القديمة و الأدب الفرنسي بمدرسة سيدي الجلب بقسنطينة ، كان له هو الآخر دور في إرشاد مالك بن نبي إلى الكتب التي ينبغي أن يطالعها و قد أعاره بعض المجلات مثل مجلة الأخبار الأدبية و مجلة كونفيرانسيا .

و من الآفاق التي فتحها المعلم لمالك اكتشافه للعالم الهندي (رانبدرات طاغور) و من خلال مسيرة مالك بن نبي الحافلة بالأفكارة الإصلاحية و من خلال دراسته في فرنسا يظهر أن مصادر فكره كانت فلسفية و إجتماعية خاصة ، وقد تاثر بفلسفات كثيرة ، و لكن هذا التأثير لا يظهر واضحا في دراسته ، و أن كان يتجلى أحيانا في صورة المنهج الذي اتبعه و الصورة التعبيرية التي استخدمها .

و ليس عجيبا أن نجد أفكار بعض الأوروبيين لدى مالك فثقافته مستقات أساسا من المصادر الأوروبية و إن كان قد مزج بين المصادر فصارت له بذلك فلسفة خاصة و منهج معيّن [1]

<u>رجال الإصلاح في فكر مالك بن نبي :</u>

الإصلاح و التغيير كانا السّمة الغالبة في العالم العربي و الإسلامي منذ ما يزيد عن قرنين حيث صيغت مناهج و حركات عدة نحو تحقيق واقع أفضل، ومالك بن نّبي أراد أن يضع مشروعا ثوريا ، و برنامجا إصلاحيا كان لا بد له من أن يتخذ موقفا واضحا من أعلام الإصلاح فاتخذ "الوهابية" بدايته الأولى و هو يعرفها بقوله " الوهابية تعني في نظري الفكرة الإسلامية الوحيدة التي تصلح بما فيها من طاقة متحركة لتحرير العالم الإسلامي المنهار منذ عهد ما بعد خلافة بغداد"[2] تعد هذه الحركة أساسا هاما في الإصلاح من أجل تحرير العالم الإسلامي مما يعانيه من إستعمار و فساد و قد ركز على فكرة التوحيد و تنزيه العبادة عن كل ما يربطها بالماديات ، و كان لهذا دفعا ثوريا .

ثم ينتقل بعد ذلك للحديث عن مسألة الإصلاح عند جمال الدّين الأفغاني الذي "سرعان ما انبلج الفجر في الأفق الذي يدعو فيه المؤذن إلى الفلاح ، كل صباح

---

[1]): ينظر : امنة تشيكو – مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي و ارنولد توينبي ص 67

[2]) : مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن – الطالب – طرابلس ، لبنان ، دار الفكر ، 1403/ 1983 ، ص 150

ففي هدأة اللّيل ، و سبات الأمة الإسلامية العميق انبعث من بلاد الأفغان صوت ينادي بفجر جديد ، صوت ينادي ، حيّ على الفلاح ، فكان رجعه في كل مكان ، إنه صوت جمال الدّين الأفغاني "[1] إنه صوت النهضة الجديدة ، إنه صوت مؤسس على زاد ثقافي مؤمن ، تخطى الحدود الإقليمية من المدينة إلى بغداد و دمشق والقاهرة و القيروان و غيرها بهدف إصلاح الواقع الإسلامي العام ، فكانت له سرعة الإنتشار لأنه كان" رجلا ذا ثقافة فريدة اعتبرت فاتحة عهده =رجل الثقافة والعلم = في العالم الإسلامي الحديث ، و لعل هذه الثقافة هي التي دفعت الشبيبة المثقفة على إثره في اسطنبول و في القاهرة و في طهران ، و هي الشبيبة التي سيكون من بينها قادة حركة الإصلاح"[2] مثل جمال الدين ما كانت تتمناه النفوس في العالم العربي و الإسلامي ، و كانت تستمد منه روح الثورة ، ومضاء العزيمة، و قوّة الإيمان ، حيث أن دور الأفغاني حسب تحليل مالك بن نبي للحركة لم يقتصر على الإيقاظ و التحريك على أهمية هذا الأمر و مشقة مسؤولية القيام به . فعمله كان آلة التحريك و الإستنهاض أولا ، ووضع اللبنات الأولى للمشروع المستقبلي معتمدا الإصلاح السّياسي طريقا للتقدم .

فجمال الدّين الأفغاني لم يقدم للعرب و المسلمين مشروعا ثوريا متكاملا إلا أن قيمته الأساسية تكمن في تطلعاته للتّغيير الذي نجح في غرس بذورها مشرقا ومغربا ، فكان رائدا في مجال الإصلاح [3] و " إذا لم يكن جمال الدّين قائدا أوفيلسوفا للحركة الإصلاحية الحديثة فلقد كان رائدها" [4]

و كان لمحمد عبده الدور المتكامل مع الأفغاني ،وقد اعتمد الإصلاح التربوي الإجتماعي طريقا للنهوض ،ويعيد بن نبي هذا النهج إلى طبيعة الإقتصاد

---

[1]) : اسعد السحمداني ، مالك بن نبي مفكرا مصلحا ، ص 109

[2]) : المرجع نفسه : ص 109-110

[3]) : ينظر : وجهة العالم الاسلامي ص 55.

[4]) : مالك بن نبي ، وجهة العالم الاسلامي ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دمشق ، دار الفكر ، 1406هـ - 1986م ، ص 56 .

4):أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي بيروت لبنان،ص685.

والمجتمع المصري ، و المناخ الأزهري ، حيث نشأ محمد عبده و كان تركيزه على التربية و الإعداد لأن صلاح الفرد خطوة لصلاح المجتنع " كان الشيخ عبده يعلم علم اليقين أنه لكي يتحقق الإصلاح يجب أن يبدأ خطوته الأولى من الفرد " [4] فإعادة الإعتبار للفرد في مجتمعه ، و تقويم شخصيته يمد المجتمع بالطاقات ويعطي للإنسان مكانه اللائق به فالفرد يبدأ موضوع الإصلاح مع نفسه قضية الجهاد الأكبر و هذا مبين في قوله تعالى : " إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " أي تغيير الجانب التطبيقي الإجتماعي في شخصه لا الجانب العقائدي لأن العقيدة متأصلة ، متجذرة في ذات المسلم على إمتداد تاريخه [1] ، و قد اهتم بتفسير القرآن الكريم و جعله أساسا لدعوته الإصلاحية و كان هدفه الإصلاحي تنقية العقيدة الإسلامية مما أصابها من دخيل و اتخد محمد عبده من السيد جمال الدين دروسه و تعليمه و كيفية إختيار موضوعات الكلام في الإصلاح [2]

يتقدم بنا التاريخ خطوة إلى جيل جديد من المصلحين و ابن نبي يعطي صورة ناطقة من واقع يعيش فيه ، و يعرف عنه كل شئ ، فيتحدث عن ذلك التيار المكهرب بروح الثورة أنه الشيخ عبد الحميد بن باديس ، الذي نجح في التحرر وحرك كل أبناء المجتمع ، و فتح الطريق لتفجر الطاقة بشكل يصعب على الإستعمار الفرنسي التحكم فيه ، و لم تبقى صيحة الثورة محصورة بين حفنة من الناس ، أو وسط فئة ، وإ نما نجح في نقلها إلى ميدان العمل الإجتماعي أوالتواجد البشري ، فلم تعد الساعة ساعة تأمل أو تردد ، أو انتظار ، بل هب البشر على هدير الصوت الهاتف و مع حملة الإيقاظ هذه وجه ابن باديس جزءا من إهتمامه إلى محاربة البدع و الخرافات "و لقد قام بتلك المهمة على خير وجه الشيخ عبد الحميد بن باديس فاستطاع أن يخلّص الجزائر من تلك التقاليد الزائفة

---

[1]) : المرجع اسعد السهراني ، مالك بن نبي مفكرا اصلاحيا، ص 112 .

[2]) : احمد امين ، زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ص 685-690

.....و لكن فردا واحدا يعجز عن القيام بتلك المهمة وحده"[1] و ابن باديس لم يقم بالمهمة وحده ، بل ساهم مع إخوة له في الله و هدفهم بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و صرفوا جلّ طاقتهم في التربية و الإعلام ، فافتتحوا المدارس و أسسوا الصحف و المجلات ، و كان من مدارسهم عشرات الآلاف ممن حملوا مشعل الثورة و الإصلاح [2]

مؤلفاته

من خلال دراستنا لمؤلفات مالك بن نبي ندرك أن آثاره تحوي تلك الدفعة المحركة التي سيكون لها في بلاد العرب أولا و في بلاد الإسلام ثانيا ، أثرها الواسع و قوتها الدافعة [3] وندرك فعلا أنه قد صب فيها عصارة تجاربه و أنه كان يتفاعل مع الأحداث بكل كيانه ووجدانه و أنه نظر إلى الأمور بمنظاره الخاص وأخضعها معاييره ، فجاءت أثاره في مجموعها معبرة عن إتجاهه .

من مؤلفاته المطبوعة :

تميّز مالك بن نبي بغزارة الإنتاج فترك للعالم الإسلامي كتب قيّمة أصدرها جميعا تحت عنوان " مشكلات الحضارة " و هي كالتالي:

1- الظاهرة القرءانية (سنة 1946) ، لبيك صدر سنة 1947 ، شروط النهضة 1948 ، وجهة العالم الإسلامي سنة 1954 ، الفكرة الإفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندغ سنة 1956 ، مشكلة الثقافة 1959 ، فكرة كمنولث الإسلامي سنة 1960 ، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة سنة 1960 في مهب المعركة سنة 1961 تأملات سنة 1961 ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الإجتماعية سنة 1962 ، آفاق جزائرية 1964 ، مذكرات شاهد القرن سنة 1966 ، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الحديث سنة 1970 مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي 1960

---

[1]): احمد اسعد السمراني ، مالك بن نبي مفكرا مصلحا ص 120

[2]) : المرجع نفسه ص : 123

[3]) : مالك بن نبي – وجه العالم الاسلامي ، ترجمة شاهين عبد الصبور ، دمشق ، دار الفكر 1406 هـ/ 1986 م ص 13

المسلم في عالم الإقتصاد سنة 1972 ، بين الرشاد و التّية (مجموعة من مقالات جمعها سنة 1972 ، دور المسلم و رسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ، كتاب النجدة ..... الشعب الجزائري ينادي ظهر سنة 1956 ، الإستعمار يلج الى الاغتيال بوسائل العلم سنة 1960 [1].

و اما اثاره المخطوطة و المسجلة في اشرطة :

بالاظافة الى مؤلفاته المطبوعة ترك مالك مجموعة من الاثار المخطوطة و المسجلة في اشرطة فيما يلي :

1- خطاب مفتوح لخروتشوف و ايزنهاور .

2- دولة مجتمع اسلامي

3- مذكرات شاهد للقرن

4- العلاقات الاجتماعية و اثر الدين فيها

5- نموذج لمنهج ثوري

6- المشكلة اليهودية

7- العفن

8- اليهودية ام النصرانية

9- دراسة حول انصرانية

10- مجالس دمشق (مجموعة محاضرات باللغة العربية)

11- مجالس تفكير (محاضرات كان يلقيها في منزله في الجزائر بعد الاستقلال و المسجل منها باللغة الفرنسية [2]

ثالثا : كتب لمالك بن نبي حديثا باللغة الفرنسية :

---

[1]) : د يوسف حسين ، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث ، دار التنوير ، ط1 ، 2004 ، ص 15

[2]) : د يوسف حسين ، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث دار التنوير ، ط1 ، 2004 الجزائر ص 31

1- Malek Bennabi M les grands themes , prefaces et annotation par Nour EDDINE Boubrouh , copyright omar Bennaissa , 1976

2- Malek Bennabi , pour changer l'Algerier , perface par Nour Eddine Bouk rouh , societe d'edition et de communication – W- tipaza S.D [1]

[1]) : د.يوسف حسين ،نقد مالك بن نبي للفكر السّياسي الغربي الحديث، ص 32

المبحث الثاني :أسس المشروع الاصلاحي :

إن قيم الحضارة تختلف عند الشعوب المستضعفة عنها في الدول الكبرى لذا لا بد من تقنية جديدة أصيلة ، لا إستعارة تقنية جاهزة وجدت لأهداف و قيم غير أهداف و قيم مجتمعنا ، قبل الإنطلاق في بناء الأرضية لأن " لواقعنا أساسا ثقافيا عربيا إسلاميا و لا يمكن إعادة بناء حضارتنا على سواه .... " [1]

فالإسهام في عملية البناء و النهضة بالفكر العربي ليس باستيراد النظم السياسية وإنما عملية البناء أساسها الإسلام ، و الثقافة ، و السياسة و الإقتصاد و التربية .....الخ

و تنطلق الخطوات الإصلاحية ، من الإسلام الذي يشكل الإطار الحضاري للعالم العربي و الإسلامي ، و هذه الخطوات تكون في اتجاهين :

- ✓ اتجاه الدراسة الدراسة الواعية للماضي و فهم منتجاته ، لفرزها تمهيدا للإلتزام بالإيجابي منها ، ووعيا لخطورة للإنفصال عنه وإلغاء أثره في الواقع الثقافي و الفكري عامة .
- ✓ اتجاه مستقبلي و ملتزم بأطر أحكام القرآن و السنة ، و سلوك السلف الصالح ، و مجدد لآليات التطور الإجتماعي في كل المجالات ، من أجل بناء بناء حضارة الإنسان ، التي ستنقد الإنسانية.[2]

إن المشروع الإصلاحي هو حركة تفاعلية تواصلية ، تلغي السلبية من جعبة التراث و تترك الفاعلية الإيجابية تؤثر في الحاضر و تتفاعل مع وقائعه لأهداف مستقبلية ، حددتها طموحات الفكر المتحرّر ، في مشروع التقدم العربي الإسلامي. ، بتوجيه إنساني ينبع من صلب الشريعة ، التي كانت و ستبقى خاتمة

---

[1]) : د اسعد السحمراني ، مالك بن نبي مفكرا اصلاحيا دار النفائس ، بيوت ، ط 1 ، 1984 ، ط2 ، 1986 ، ص 182

[2]) : المرجع نفسه ص 183

الرسالات ، و التي تحمل شعلة الثورة المتأجّجة دوما لصياغة المستقبل لتكريم الإنسان. [1]

إن المنهاج للمشروع الإصلاحي هو سلبية في التعامل مع المحطات المسيئة في في التاريخ ، و إيجابية في إتصال الحاضر مع المحطات المشرقة في واجباتنا تصفية عاداتنا و تقاليدنا ، و إيطارنا الخلقي و الإجتماعي من عوامل قتالة و رمم لا فائدة منها ، حتى يصفو الجو للعوامل الحية و الداعية إلى الحياة ، و لن تأتي هذه التصفية إلا بفكر جديد ، يحطم ذلك الوضع الموروث عن فترة تدهور مجتمع يبحث عن وضع جديد وهو وضع النهضة و نخلص من ذلك إلى ضرورة تجديد الأوضاع بطريقتين :

الأولى : سلبية تفصلنا عن رواسب الماضي .

والثانية : إيجابية تصلنا بالحياة الكريمة .[2]

يشكل الإسلام الموجة و الضابط في حركة التحضير في العالم العربي و الإسلامي و منهاج الأصالة الملتزم بالتراث ، و المتفهم للواقع ، و المحدد لتطلعات المستقبل الموجه الأساسي للمشروع الإصلاحي ، و لكن البدء بالمشروع على هذه الأسس لا يجوز أن يكون في الأماكن المغلقة ، و إنما يجب أن يكون مادة التثقيف و التوجيه بمختلف الوسائل المتاحة ، و المنهج التطبيقي للعمل اليومي في كل حركة و نشاط ، فالجانب العملي يثبت صلاحية المشروع للتنفيذ و يسد الفراغ عند الشعب المتحفز للتغيير حيث الخوف من أن يقتنص الإستعمار الفرصة ، فيوجه في حالة الإنفعال أفكاره مغلفة بألف لون و لون لتنفذ من الثغرات المتروكة بسبب التقصير ، و بذلك تبدأ عملية التخريب ، و يجب ان يتضح لجميع العاملين في حقل المشروع الإصلاحي المتأصلة جذوره في الإسلام ، أنهم في سباق مع الإستعمار ،

---

[1]) : ينظر اسعد السحمراني ، مالك بن نبي مفكرا اصلاحيا ، ص 184

[2]) : ابن نبي مالك ، مشكلة الثقافة ، دمشق ، دار الفكر ، سنة 1979 ، ص 68

يستفيد من كل ثغرة يتركونها ، و في هذا يقول مالك بن نبي : " أن كل فراغ إيديولوجي لا تشغله أفكارنا ينتضر أفكارا منافية معادية لنا "[1] أفكارا تتربص شرابنا ، لتنسق وجودنا الحضاري و تستبدله بما عندها من أطر ثقافية و سياسية و إقتصادية و تربوية و حضارية ، ليتأصل بذلك الوجود الإستعماري في سيطرته على مصير و رزق و موارد الشعوب المغلوبة ، و يرحل في ذلك إعلان يؤكد أن الشعوب المغلوبة ليست ضعيفة بل مستضعفة وليست قاصرة بل هي في سن الرشد . فاقتران الأفكار بالتطبيق ، و تحويل الأقوال إلى أعمال ، هي مفاهيم أساسية في نصوص القرآن و عكسها عمل فيه مخالفة تستحق عقاب الله تعالى الذي يمقت القول غير المترجم إلى فعل ، حيث جاء في الكتاب العزيز : " يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون.كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون " [الاية 3. 2 – سورة الصف] ، إن في الآيتين سؤال و تنبيه عن فعل ما يكرهه الله و هذه قاعدة من قواعد " المشروع الإصلاحي الذي تمت صياغته من منطلقات إسلامية و دراسة تراثية ، و بحث ميداني ، و تطلعات مستقبلية ، إن إقتران الفكر بالعمل هو أساس التقدم[2] .

تشكل هذه الأسس للمشروع الإصلاحي قواعد المنهج الأساسية أو المنطلقات الثابتة لبدء حركة البناء و صنع تاريخ يؤدي إلى الحركة المطلوبة .

---

[1]) : ينظر : د. اسعد السحمراني مالك بن نبي مفكرا اصلاحيا ص 186

[2]) : المرجع نفسه ص 187 .

المبحث الثالث: انواع الاصلاح الحضاري عند مالك بن نبي

اعتمد مالك بن نبي على جملة من الإصلاحات ، فقد كان من المفكرين العرب الذين غرفوا من شتى العلوم ، و أهم ما يمتاز به عن غيره أفكاره الجديدة في مختلف المجالات ، و من بين هذه الإصلاحات التي كان له دور فيها نذكر :

1 – الاصلاح الديني :

ركز مالك بن نبي على الإصلاح الديني الحضاري ، و لعل أهم ما تعرض له في حياته الفكرية الإصلاحات التي تقوم عليها حضارات المجتمعات البشرية في كافة المجالات ، و قد اهتم بالإنسان الذي يعد أساسا لكونه الكائن المفضل عن سائر الكائنات ، المكرم بالعقل حيث جعله الله خليفة في الأرض لقوله تعالى : "و لقد كرمنا بني آدم و حملناهم في البر و البحر و رزقناهم من الطيبات و فضّلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا " [الآية 70 سورة الاسراء] و من هذا المنطلق يرى مالك بن نبي أن خلافة الإنسان مسؤولية عظيمة يجب الحفاظ عليها ، و من هنا انشغل بإصلاح الإنسان من جانب إنسانيته و نيته في ذلك تحسيسه بحمل أعباء المسؤولية مع نفسه و مع غيره ، و ذلك لتغيير حاله و محيطه و بالتالي فاللون الإصلاحي هنا هو لون فردي اجتماعي[1] .

لقد وفق في إيجاد نظريات تشكل منهجه المفضل ، هذا المنهج الذي يقوم على أساس التغيير بدءا بالفرد فالمجتمع ، حتى تستقيم الحياة " فالتغيير هو الأساس الذي تقوم عليه الحياة ، لأنه إنما يوجد حيث لا تكون الأشياء صحيحة ، و حيث لا تكون الأمور مستقيمة "[2] .هذا ما جعله يلحق بمن سبقوه في المجال الحضاري ، و يأخذ الطليعة بين من عاصروه من العرب و الغربيين .

---

[1]) : سنايسي رابح ، الفكر الديني المعاصصر في الجزائر " اصوله و اتجاهاته " مذكرة تخرج لدكتوراه دولة ، جامعة ابي بكر بلقايد . تلمسان 2000-2001 ص 231 -233

[2]) : محمود الخالدي ، التفكير بداية الطريق الى النهضة ص 50 .

و على هذا الأساس يرى مالك بن نبي أن الحل يستمد وجوده من مصادر التشريع الإسلامي " و الأمة الإسلامية لا تستحق الوصف بأنها إسلامية ، إلا إذا اتخدت هذا المنهج أساسا لحياتها كلها "[1] . عليه فمن الخصائص الفكرية الدينية السابقة تتبين أهمية التربية الإسلامية في توجيه الفرد و المجتمع و في نسج العلاقات السليمة بينهما و ذلك بالإعتماد على أسس إسلامية لأن ذلك يحقق الجو و المحيط الذي يناسب العقيدة عند المسلم الذي يعيش هذه الأيام حالة إزدواجية في الشخصية و ضياع بين الروح الإسلامية التي يعيشها لحظات وجوده في المسجد أو سماعه لأي حديث نبوي و بين الواقع الإجتماعي الذي يطبع سلوكه.

إن من أجل ترسيخ الدين الإصلاحي ترى مالك بن نبي يسعى إلى تغيير السلوك الإنساني في العالم الإسلامي [2] و يساعد على تحديد الهوية الفكرية و المسؤولة، كما يساعد على توجيه التربية في البيت و المدرسة و الشارع

ارتكز مالك بن نبي كذلك في هذا الإصلاح على منهج تفسير القرآن الكريم ، فقد كان كثير الإهتمام به بصفته مفكر مسلم جعل القرآن الكريم محور فكره ، و أساس انطلاقته .

لقد كتب مالك بن نبي – رحمه الله – في كتابه القيم الظاهرة القرآنية بهدف إحداث ثورة منهجية في مجال مناهج التفسير ، و كذا تزويد المثقف المسلم المحتك بالثقافة الغربية الحديثة بأسس راسخة تسمح له بتامل ناضج وواع للدين الإسلامي، يقول الأستاذ مالك في المدخل لدراسة الظاهرة القرآنية و على ما نعتقد أن جوهر الموضوع و هو الإهتمام بتحقيق منهج تحليلي في هذه الدراسة و هو منهج يحقق من الناحية العملية هدفا مزدوجا و هو :

- انه يتيح للشباب المسلم فرصة التأمل الناضج في الدين

---

[1]) : عبد الحليم محمد ، مع العقيدة و الحركة و المنهج في خير امة اخرجت للناس ، الرياض ، ط1 ، 1978 ، ص

[2]) : راجع فكرة كمونلث ، ترجمة الطيب شاهين ، ص 71- 94

- أنه يقترح كذلك إصلاحا مناسبا للمنهج القديم في تفسير القرآن [1].

إنه على حد تعبير ابن نبي يعلم علم اليقين ، أنه لكي يتحقق الإصلاح يجب أن يبدأ خطوته الأولى من الفرد فنفس الفرد هي العنصر الجوهري لكل مشكلة إجتماعية و عن أثر هذا الفكر و التوجه على منهج التفسير نجده يقول : " إن الآية القرآنية لم تكن تستخدم في منهجها إلا كوسيلة منطقية تساق لغرض تعليمي ، فالقرآن في منطقها معلم يقدم لها مقاييس من كل نوع ..... " [2]

و ينتهي مالك إلى أن الحركة الإصلاحية لم توظف العلم كآلة للتغيير و إنما اكتفت بإيجاد متخصصين في شتى العلوم و التخصصات كعلم الكلام و التوحيد و الفقه ..... الخ ، على غرار الحركة الإصلاحية في المغرب العربي التي تميزت بشيء من الفاعلية لأنها كانت في عهد المؤسس الأول عبد الحميد بن باديس الذي عمل على غرس نزعة التغيير على قلوب الجزائريين يقول الله تعالى : " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ". [الاية 11 سورة الرعد] إن الحركة الإصلاحية لم تستطع أن تحدث التغيير لأنها كانت تفتقد إلى الفعالية اللازمة تتجسد في الوضيفة الإجتماعية للدين في نفوس الناس [3].

يقال بأن مدرسة الإصلاح قد وظفت القرآن الكريم بغرض تعليمي و بأنها لم تبتعد عن دائرة البعد التثقيفي الجدلي و قد اعتبرت هذه المدرسة الهداية القرآنية هدفها الأعظم من الدرس التفسيري و في هذا الصدد يقول جمال الدين الأفغاني : "القرآن وحده سبب الهداية و العودة في الدعاية أما ما تراكم عليه ، وتجمع حواليه من آراء الرجال و استنباطاتهم و نظرياتهم فينبغي ألا نقول عليه كوحي و إنما

---

[1]) : محمد الدراجي ، الحركة الاصلاحية في الجزائر – رجال و افكار – ص 110-111
[2]) : المرجع نفسه ، ص 116 .
[3]) : المرجع نفسه ص 117

نستأنس به كرأي ..... و ألا نحمله على أكتفنا مع القرآن في الدعوة إليه وإرشاد الأمم إلى تعاليمه .... و تفسيره و إضاعة الوقت في عرضه " [1]

و الخلاصة أن حركة الإصلاح قد جعلت الهداية القرآنية غرضها الأساسي في التفسير و مالك بن نبي يؤكد" أن الوحدة الإسلامية تقوم على الدين الإسلامي و أن الإسلام لم يصبح يهم المسلمين وحدهم بل يهم كل البشر و أن الإنسانية بحاجة ماسة إلى الدعوة إلى الخير و إلى الكف عن جميع الشرور " [2] وفي هذا تحقيق للآية الكريمة ، " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون "[الاية 104 ال عمران]

إن حركة الإصلاح و خاصة في الشمال الإفريقي قد انحرفت عن غرضها الأساسي ابتداءا من سنة 1936 ، و ذلك حين راحت تبحث عن التغيير عن طريق السياسة و الإنتخابات و هذا ما ذكره ابن نبي في نقطتين:

1- أن السياسة التي لا تحدث تغيير هي التي يقودها السياسيون المحترفون همهم الوحيد الفوز في الإنتخابات و كسب الأصوات مما يجعل الشعوب يعقدون آمال في إمكانية إحداث التغيير أو الخروج من دائرة التخلف .

2- و السياسة هي استصلاح الخلق و إرشادهم إلى الطريق المستقيم فالإمام أبو حامد الغزالي يعبر عن الفكر الإسلامي الأصيل الذي يجعل من أولى مهام السياسة تربية الإنسان و هذه التربية تقوم على الجمع بين المصالح الدنيوية و المبادئ الأخلاقية .[3]

---

[1]) : محمد الدراجي ، الحركة الاصلاحية في الجزائر – رجال و افكار ص 117

[2]) : يوسف حسين ، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث ، دار التنوير ، ط 1 ، 2004 ص 120

[3]) ينظر محمد دراجي ، الحركة الاصلاحية في الجزائر . رجال و افكار . ص 123- 124

2-الاصلاح السياسي :

* مالك بن نبي و السياسة : يعرف مالك بن نبي السياسة بأنها " العمل الذي تقوم به كل الجماعة منظمة في صورة الدولة ... تكون وظيفتها محددة بدستور أو بتقاليد عريقة تضبطها " [1] و الجماعة الذين يمارسون السياسة هم أفراد تجمع بينهم روابط تاريخية و جغرافية و قد تكون الجماعة بهذا المفهوم (الأمة).

فالسياسة إذن هي العمل المنظم لجماعة أو أمة و العمل المنظم هو الذي يهدف إلى تحقيق سعادة الإنسان و المجتمع و السياسة الناجحة هي تلك التي تحقق التجانس و التعاون بين عمل الدولة و عمل الفرد أو المواطن [2] .

يكمن هذا التعاون و هذا التجانس بين الدولة و الفرد إذا توفر عامل أساسي هو عامل العقيدة لأنه إذا كانت هذه السياسة تفصل بين الدين و الدولة لن تكون ناجحة لأنها لا تستند إلى دين أو عقيدة تغرس في الفرد و المواطن القابلية و الإستعداد للتضحية و البطولة و الإيثار . فالتعاون بين الدولة و المواطن قصد إنجاز مهام عظمى يرتكز على الثقة و التضحية و مجابهة أهوال الزمن فلابد أن يقوم على عقيدة راسخة بالإضافة إلى عامل أخلاقي لأن " السياسة بدون أخلاق ما هي سوى خراب للامة ". [3]

هذا ما يجب أن تتضمنه السياسة لتكون ناجحة على عكس السياسة الغربية فهي تقوم على مصالح عاجلة لا تتسم بالثبات و الإستقرار و لا تستند إلى قيم أخلاقية ثابتة و لذلك فهي قاصرة عن تحقيق التجانس بين عمل الدولة و عمل المواطن مما يؤدي إلى خلل ظاهر في صلة الدولة بالوسط الإجتماعي و تدهور

---

[1]) : مالك بن نبي ، تاملات ، دمشق ، دار الفكر ، 1406 هـ /1986 م ص 75

[2]) : ينظر : د. : يوسف حسين ، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث ، دار التنوير ، ط 1 ، 2004 ص 84

[3]) : ينظر : مالك بن نبي ، بين الرشاد و التيه ، دمشق دار الفكر ، 1986 ، ص 69

العلاقة بينهما بمعنى أن الأمة و الدولة تؤول إلى الفوضى و إلى الخراب على حد قول الشاعر العربي :

إنما الأمم الاخلاق ما بقيت *** فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

يرى مالك بن نبي أن السياسة الغربية لم تعمل على خدمة الإنسانية و الدليل على ذلك قيامها بنهب خيرات العديد من الدول فقد كانت وظيفتها الدعوة إلى فعل الشر و نشره . و فشل السياسة الغربية في تحقيق التجانس يرجع إلى تخليها عن الأخلاق و تجاهلها للعقيدة و لذلك يقول بن نبي : " فإذا كانت السياسة تفقد فعاليتها إذا انفصلت عن ضمير الأمة ، فإنها إذا انفصلت عن الضمير العالمي تضيف إلى العالم خطرا فوق الأخطار التي تهدده ". [1]

إذن إن السياسة الغربية لا تقوم على الأخلاق و العقيدة و لذلك فإن الدول الغربية مهددة بعدم الإستقرار في الداخل من جهة و تهدد العالم العربي بسياستها اللاإنسانية من جهة أخرى .

وعلى هذا الأساس قدم مالك بن نبي بعض التوجيهات السياسية للحكومات الإسلامية إذا ما أرادت فعلا تحقيق النجاح و الفعالية في واقع المجتمع الإسلامي .

*** مالك بن نبي و التوجيهات السياسية : تكمن هذه التوجيهات في :**

1- التزام مبدأ التبادل : ذلك أن القرآن الكريم قد وضع مبدأ التبادل بين المجتمع و الأفراد في قوله تعالى: " كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر ".

إن مبدأ التبادل يعني من جهة أن المجتمع يقتضي من أفراده سلوكا معينا و يعني من جهة أخرى أن الأفراد يخضعون لمجتمع في الحكم وإدارة شؤون البلاد و العباد إلى مبدأ النقد الذي يتضمن النقد الفردي و الإرغام الإجتماعي ، و يؤدي مبدأ التبادل إلى تقويم أخطاء المجتمع و الأفراد في نفس الوقت ، و يعمل كذلك

[1] : مالك بن نبي ، بين الرشاد و التيه ص 76

على حماية المدنية أو الدولة الإسلامية من الإنهيار و التفكيك من جهة و على التحام الحاكمين من المحكومين من جهة أخرى [1]. بحيث يتجسد فيهم قوله صلى الله عليه و سلم : " المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه البعض "
[أخرجه البخاري و مسلم]

2-إقرار وظيفة الحسبة :

وهي وظيفة سياسية و إدارية ظهرت بالمجتمع الإسلامي في العصر العباسي، سندها الشرعي هو وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر على الجميع و أساسها قوله تعالى : " و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر " يقول محمد ضياء الدين الريس : " فالحسبة معاونة للقضاء و هي تسهر على تنفيد القوانين فيما يتصل بالمصالح و الآداب العامة ، و تعمل على حماية الجمهور ممن يحاولون غشه أو استغلاله و تحمي الضعيف و تساعد أهل الخير في كل وجوه البر ، و تحسم أسبابا كثيرة للشر " [2]

وللأهمية الكبرى لوظيفة الحسبة في الإسلام فإننا نجد مالك بن نبي يوصي : "أن أمام البلاد الإسلامية هذه الدروس في السياسة العليا التي تصنع المعجزات التي نراها و خلفها دروس الثقافة الإسلامية الرفيعة التي تتيح لها استعادة بعض المفاهيم مثل الحسبة التي تستحق إدخالها على النظم السياسية لأحداث البلاد و لا سيما في هذه البلاد بالذات ". [3]

3-التزام العدل : يعد العدل الغاية العامة من الحكم الإسلامي أمر به الله تعالى و جعل له غاية الحكم فقال : " وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله يأمر بالعدل و الإحسان و إذا قلتم فاعدلوا و لو كان ذا قربى يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين

---

[1]) د يوسف حسين نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الحديث ص 124
[2]) : المجع نفسه ص 125
[3]) مالك بن نبي ، مشكلة الافكار في العالم الاسلامي ، ترجمة محمد عبد العظيم (تونس) دار النشر و التوزيع ، 1985 ص 181

يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب " [سورة النساء، الآية 26] ، وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم في العدل : " إن أرفع الناس يوم القيامة إمام عادل " [أخرجه حنيفة] ، و العدل يشمل المسلمين و حتى الأعداء و ذلك مصداقا لقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط و لا يجر منكم شأن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى و اتقوا الله إن الله خبير بما تعملون " [المائدة، الآية 8].

و هكذا يظهر أن الدعوة إلى إلتزام العدل هي الدعوة إلى المساواة في المعاملة بين جميع الناس ، و رد المظالم مما يؤدي إلى اطمئنان الرعية وشعورها بالأمن ، وة ثقتها بحكامها ، تقوى الدولة و يستقر الحكم و يستمر[1].

4-اعتماد الشورى في الحكم :

إن الله عز و جل أمر الرسول صلى الله عليه و سلم بالشورى فقال : " فاعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم في الأمر " [آل عمران الاية 159].

فامتثل الرسول إلى أمر ربه ووصف الله عز و جل بأنهم يلتزمون الشورى ويتبادلون الآراء في ما يعرض من أمور فقال :"و الذين استجابوا لربهم و أقاموا الصلاة و أمرهم شورى بينهم و مما رزقناهم ينفقون" [سورة الشورى، الأية] . و هكذا يتجلى لنا أن الشورى مبدأ من المبادئ الأساسية في الحكم الإسلامي [2] .

5-توليد الأصلاح :

يجب على ولي الأمر أن يولي على كل عمل من عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجب أن يجده لذلك العمل ، قال صلى الله عليه و سلم : " من ولي من أمر المسلمين شيئا ، فولى رجل و هو يجد من هو أصلح للمسلمين منه ، فقد كان الله ورسوله و المؤمنين"

---

[1]): د يوسف حسين نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الحديث ص129

[2]): ينظر : المرجع نفسه ص 130

إذن لا شك أن تولية الأصلح على أعمال المسلمين سيعود على الأمة بالخير والصلاح لأن الأصلح هنا هو الذي تتجسد فيه صفاة منها القوة و الامانة و الدين والعلم ، اما الطالح فلا تصلح ولايته ولا ياتي منه خير للمسلمين لأن من صفاته الضعف و الخيانة و الفجور والجهل

6-ضرورة العمل على كسب ثقة الشعب : لاحظ مالك بن نبي أن السلطات الحاكمة في البلاد الاسلامية لا تهتم بكسب ثقة الجماهير ، و ما يجب على الحكومة الإسلامية إن تعمل جاهدة من أجل أن تكسب ثقة رعاياها لأنها إذا فقدوا الثقة فيها ضاعت شؤونهم و شؤون بلدهم ، و لتجنب هذا يجب أن تتخلى عن الغرور والغطرسة و الإستبداد و أن تتحلى بالتواضع و حسن المعاملة و الإقتراب من رعاياها أكثر فأكثر و تعمل على إيجاد الحلول المناسبة لمشاكلهم [1] .

3 الإصلاح القتصادي :

يمكننا القول بأن الهدف العام للإصلاح الإقتصادي هو " النمو " و ما يعنيه من زيادة في الناتج القومي و زيادة في الدخل الفردي ولا يتأتى تحقيق هذا الهدف إلا من خلال ما تسعى إليه كل برامج الإصلاح الإقتصادي .

تتضمن خطة الإصلاح في إطار هذا المفهوم (علاج الإختلالات المزمنة في الميزان التجاري و ميزان المعاملات الجارية و ميزان المدفوعات والميزانية العامة عن طريق تحرير أسعارالصرف ونسب الفوائد المصرفية والتجارة الخارجية وإطلاق المنافسة والإصلاح الضريبي والتعريفة الجمركية وتطوير القطاع العام...) [2]

لاحظ بعض المراقبين للشؤون الإقتصادية في البدان المختلفة أنها قد ازدادت تخلفا و البلدان المتقدمة ازدادت تقدما ا فما سبب هذا التوزيع الغريب ؟

---

[1]) : المرجع نفسه ص 133

[2]) : الشريف دلاور قضايا و معالم في طريق الاصلاح الاقتصادي ، المكتبة الاكاديمية ط 1 0 القاهرة 1994 ، ص 37

قد يأتي جوابنا إذا تسرعنا على أساس تقدير الأشياء من زاوية إقتصادية بحتة فنقول : إن السبب في ذلك يعود إلى وجود الصناعة في القطاع الشمالي من الكرة الأرضية و فقدانها في الجنوب .

إن هذا الجواب وجيه إلى حد ما ، و تترتب عليه النتيجة النظرية التي تخللت كل الدراسات التي استهدفت النهوض بالجنوب .

وعليه يجب علينا أن نعيد النظر في القضية سواءا بالنسبة للبلاد المتقدمة أو البلاد المتخلفة و أن نستفيد من التجارب الأخيرة في العالم ، التي تعطي وجوه موازنة سليمة في بلد إسلامي .[1] مثل اندونيسيا في الجنوب و ألمانيا في الشمال إذ نرى بلدين يشرعان في النهوض الإقتصادي ، من نقطة إنطلاق نراها أسوا بالنسبة لألمانيا إذا ما قدرنا أنها تنطلق من الصفر ، فاقدة كل وسائل الإنتاج الصناعي التي حطمتها الحرب هذه الأخيرة التي أدت بها إلى فقدان سيادتها فأصبحت مضطرة أن تعيش على أرض فقيرة من الناحية الفلاحية حيث " أن الشعب الألماني وجد نفسه سنة 1945 في وضع يجعله يعود إلى الحياة من دون أي سلطان مالي ، أولا يعود إلى أن كان المال هو الوسيلة الوحيدة لإعادة بناء وطن كثيف الصناعة قد دمرته الحرب تدميرا شاملا)[2]

بينما نرى اندونيسيا في الفترة نفسها تستعيد سيادتها الكاملة حرة في كل تصرفاتها الداخلية و الخارجية و تشرع في تطبيق مخطط أجدر بقيادة الخبير الدكتور (شاخت) الذي وضع لها خطة تنمية قائمة أساسا على الموارد.

إن نتيجة الإنطلاقتين و الموازنة بينهم ستكون واضحة في برهة وجيزة من زمن إذ سنرى :

---

[1]) : مالك بن نبي : المسلم في عالم الاقتصاد ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط3 ، 1987 ، ص 55

[2]) : المرجع نفسه: ص 56

1-" أن ألمانيا لا تستعيد مركزها الإقتصادي في العالم فحسب بل تصنف اليه مكتسبات جديدة تجعلها من الدول الرائدة إقتصاديا ، و تصنع عملتها في مصف العملات الصعبة " .

2-بينما تخرج اندنوسيا من تجربتها في تطبيق مخطط شاخت ليس من دون أي حصيلة في الميدان الإقتصادي ، بل متورثة نفسيا في الشعور بالهزيمة أمام واقع المرير [1].

فنلاحظ من خلال هذه الموازنة أن الصناعة ليست كل شيء في العالم الإقتصادي و يبدو أن التفسير الإقتصادي غير كافي لتفسير الظاهرة التي إنطلقنا منها " فالتفسير الإقتصادي للأوضاع الموجودة في العالم ، من التقدم و التخلف ، لا يعطينا فكرة صحيحة عن كيفية معالجة التخلف ، لأنه يربط الأشياء بأسباب قاصرة لا يمكن لتجربة ناجحة أن تقوم على أساسها ، لا في اندونيسيا و لا في غيرها من البلاد الإسلامية ".[2]

[1]) : مالك بن نبي المسلم في عالم الاقتصاد ص 56
[2]) : المرجع نفسه ص 57

المبحث الرّابع: نظريات الإصلاح الحضاري في فكر مالك بن نبي :

تطلع مالك بن نبي في إصلاحه الحضاري على نظريات استنبطها من آيات قرآنية، و أحاديث نبوية ، ولاحظ أن هذه النظرية لها إيطارات و هي :

1- **النظرية النفسية الحضارية :** تعتمد هذه النظرية على منهج التبني الذي تنبسط فيه الأحكام من خلال الكتاب و السنة ، و يمكن قراءة هذه المنهجية من خلال :

*طبيعة التكريم : فالإنسان مكرم بالفطرة مهما كان جنسه أو لسانه أو لونه ، هذه البصيرة الدينية في إدراك الحقائق جعلت نظرة مالك بن نبي إلى الإنسان خالية من كل شعور بالنقص أو تعالي ، هذا بخلاف الدراسات الوضعية التي لا تؤمن إلا بالبصيرة العلمية حيث تصنف الإنسان إما على أساس طبقي أو عنصري ، فتجرده من طبيعة التكريم التي فطر عليها[1] . فالإنسان في نظر مالك بن نبي هو سيد بالفطرة ، و أن الغرائز هي التي تجعل منه مسودا في تصرفاته و سلوكه أي الحالة التي يكون فيها عبدا لشهواته [2].

*و التكريم الرباني : الإنسان يشمل الجميع مهما كان الإنتماء الجغرافي أوالعقائدي فهو تكريم يفتح الباب على آمال كبيرة تتعلق بوضع هذا الإنسان مع التغيير " لا تكون الأشياء صحيحة حيث لا تكون الأمور مستقيمة "[3]

و التكريم الخاص : فقد خص الله به عباده المؤمنين ، يقول تعالى : " و لله العزة ولرسوله و للمؤمنين و لكن المنافقين لا يعلمون ".[4][المنافقون:الآية 8]

وهذه العزة الموهوبة لا تعرض المؤمنين للكبرياء ، بل تربطهم بسمو الأخلاق و علو الهمة و لا تعني البتة ، المجد التالف الذي يرتبط بالماديات [5].

---

[1]): سنايسي رابح : الفكر الديني المعاصر في الجزائر (اصوله و اتجاهاته) ص 234

[2]) : ينظر : مالك بن نبي ، ميلاد المجتمع ، ص 60 . 75

[3]) : محمود الخالدي التفكير بداية الطريق الى النهضة ، شركة الشهاب ، 1989 ، ص 50

[4]) : المنافقون الاية 8

[5]) : ينظر : مالك بن نبي ، مشكلة الافكار في العالم الاسلامي ، دار الفكر ، دمشق ، الجزائر ، ط 3 ، 1988 ، ص 107 /122

ومن هنا جاءت نظرية مالك بن نبي في الحضارة عبارة عن تعبير فني لفلسفة الاسلام للإنسان ، و في هذا المعنى يقول : " و في رحلات العرب إبان العصر الذهبي ، مثل رحلات ابن بطوطة و المسعودي ، و أبي الفدى ، فإننا لا نجد فيما يكتبون عن الشعوب و القبائل البدائية المكتشفة أية ثرثرة تشوه إنسانية هذه الشعوب، و لا نرى في اتصالهم بها أي أثر للكبرياء في علاقات الإنسان المتحضر العربي إزاء الإنسان البدائي "[1]

فمن الطبيعة التكريمية للإنسان يستقي مالك بن نبي منهجه التربوي الذي يهدف إلى بناء حضارة إنسانية ، هذه الأهداف التي لا تكمن إلا في ذات الإنسان ، ووجهته في ذلك الرد اعتبارا لهذا الإنسان التي حطت في كرامته فلسفات وضعية[2]

2-نظرية التغيير :

استقى مالك بن نبي هذه النظرية من قوله تعالى : " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " [الرعد الآية 11] فآلة التغيير عنده تكمن في النفس الإنسانية وفق الشروط التالية [3] :

*مبدأ الإستعداد للتغيير : و يقصد به قابلية التحول من حالة إلى حالة أخرى ويتطلب هذا و عيا بالوضع الراهن للحالات النفسية و الإجتماعية التي يعيشها الفرد .

*رسم خطة للتغيير : رسم الخطة يقتضي أن يكون الوضع المرجو الإنتقال إليه محددا ، و هذا العمل يتطلب حث النفس على بدل الجهد لاكتساب عادة جديدة بالوضع المأمول الوصول إليه ، و التخلي عن كل ما يربط النفس بالوضع السابق

---

[1]) مالك بن نبي وجهة العالم الاسلامي ، ص 127

[2]) : ينظر : مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر الجزائر ، ط 3 عام 1986 ص : 22/17

[3]) : للتوسع في هذا الموضوع راجع الكتابة (شروط النهضة) فقد خصصه لشرح و تحليل الشروط الضرورية لقيام الحضارة .

3-النظرية الوسطية :

و ترتبط هذه النظرية إرتباطا وثيقا بالنظريتين السابقتين و هي نتيجة لهما حيث يدعو من خلالها -ابن نبي- الفرد المسلم أن يكون عضوا فعالا في تبليغ ذاته للآخرين و هي سالمة من كل مركب نقص [1] و لا شك أنه أثناء هذه العملية تتحقق الوسطية التي ورد في شأنها قوله تعالى : " و كذالك جعلناكم أمة وسطى لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا " [البقرة :الآية 143]

فالبعد الحضاري التي تبنته نظرية ابن نبي يدعوا الفرد المسلم إلى الإقتناع بالدور المنوط به ، حتى يملأ الفراغ الروحي الذي باتت تتعطش إليه نفسية الفرد المسلم ، و قد يتطلب هذا الوضع شروط تلزم القائم بجهد التغيير أن يقتنع بها ويجسدها في سلوكه أولا ثم يحملها إلى الآخرين على أساس أن ما يحمله إليهم هو سبيل نجاتهم و سعادتهم .[2]

فالوسائل المعتمدة في التغيير يجب أن يتمكن منها الفرد حتى يقدر على تغيير ما بنفسه و يجب أن يدرك بأنه عنصر فعال في المجتمع ، و أن المجتمع يحتاجه كل لحظة ، و أن استيراد الأفكار و النظريات غير المؤسسة تبعد الهوة التربوية لدى الأفراد و الجماعات .[3]

4-النظرية الإجتماعية الحضارية :

تمكن هذه النظرية النفس الإنسانية من تغييروضعها المألوف إلى وضع أحسن ، و هذا يتحقق وفق قواعد بيداغوجية كثيرة تذكر منها :

أ- محاولة ربط الصلة بين الأفراد : فالأخلاق هي " أولى المقومات في الخطة التربوية لأية ثقافة " [4] و معنى هذا أن التربية الإجتماعية من أهدافها ربط

---

[1]) مالك بن نبي ، مشكلة الافكار في العالم الاسلامي ، ص : 145 -156

[2]) : ينظر محمود الخالدي ، التفكير بداية الطريق الى الطريق ، ص 135

[3]) ينظر : مالك بن نبي ، الصراع الفكري غي البلاد المستعمرة ، دار الفكر ، الجزائر ط3 ، 1988 ، ص

[4]) مالك بن نبي مشكلة الثقافة ، دار الفكر ، 1969 ص 63

الصلة بين الأفراد و التأليف بين قلوب الناس ، و أن هذا التآلف شرط أساسي لأي إشعاع ثقافي ، فالفرد المنعزل لا يمكن له أن يستقبل ثقافة ما ولا يمكن له أن يرسل إشعاعها في كل ، تبقى " الأخلاق هي التركيب التربوي لكل العناصر ، و لذلك كانت فصلا جوهريا من فصول الثقافة فتصوره على أنه تاريخ ، بل على أنه مشروع تاريخي " [1]

ب - القيام بالواجب : تنادي هذه الطريقة بوجوب تعليم الإنسان كيف يقوم بواجباته عوض المطالبة بحقوقه ، بمعنى : أن لا تعزف التربية على وتر الحقوق على حساب الواجبات ، و عليه يقول أصحاب الميدان أن التربوي من المجدين و المجتهدين و المبدعين الذين يقومون بواجباتهم أكثر من المطالبة بحقوقهم ، [2]

ج-الإنسان في فكر مالك بن نبي : الإنسان عند بن نبي يتدرج في عوالم ثلاثة: هي عالم الأشياء ، و عالم الأشخاص و عالم الأفكار و لا يمكن له أن يعيش بمعزل عن هذه العوالم الثلاثة ، و إذا عاش بمعزل عنها أصبح الأمر إعادة تكييفه مع الحياة الاجتماعية بعيد الاحتمال ، بل مستحيل [3]

إن الاطار البيولوجي و العقلي الذي ينموا فيه الإنسان جاء عنده حسب الأطوار الثلاثة كما يلي :

1- الطور الذي يكتشف فيه تلقائيا عالم الأشياء .

2- الطور الذي يكتشف فيه تدريجيا عالم الأشخاص .

3- العمر الذي يكتشف فيه عالم الأفكار.

---

[1]) مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، دار الفكر ، 1969 ص 63

[2]) مالك بن نبي ، ميلاد المجتمع ، ص 90 – 107

[3]) شايف عكاشة ، الصراع الحضاري في العالم الاسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1993 ص 110 -112

5-النظرية المعيارية – الحضارية :

المقصود بالمعيارية ذلك الأسلوب الفكري المعتمد على مجموعة من العوامل كاللغة و الثقافة و الدين التي لها تأثير على حياة الفرد في المجتمع ، فحياة الفرد قبل أن تكون منوطة بذاته خاصة و موهبته الشخصية . " هي منوطة أولا و قبل كل شيء بصلته بمجتمع معين " [1] أي أنه كلما كان تخلف المجتمع كبيرا كلما ارتفعت الجزية التي يدفها الفرد مهما كان وضعه الأخلاقي و العقلي و هذا على مستوى الحظوظ العقلية .

أما على مستوى حظوظ الخلق و الإبداع فلا بد من إلتحام المبادئ بالوسائل ، فإذا تكاثفت المبادئ مع الوسائل و الحاجات كان هناك خلق و إبداع ، و المنهجية التي تعتمد (مبدأ الحاجة) لا يمكن أن تلد من الناس أفرادا مبدعين ، و من هنا فالإطار المعياري المادي و المعنوي هو أمرضروري لتربية نتوخى من ورائها تخريج أفراد فاعلين في المجتمع [2] و على هذا الأساس فالرؤية الحضارية المعيارية تستلزم وضوحا في الهدف من الموجهين في إعدادهم لمنظومة حضارية من خلال :

*الخطوط الأخلاقية و الجمالية للقاعدة الحضارية (التربوية) :

هناك خطوط أخلاقية و أخرى جمالية فنية يجب أن ترتكز عليهما البنية الحضارية دون أن يكون إحدهما قائما على حساب الآخر إذ يجب توجيه الجانب الجمالي في تربية الإنسان [3]

و تعد المدرسة في منظور ابن نبي المجال الذي تحفّر فيه الأهداف الحضارية " ما كان هدي محمد صلى الله عليه و سلم بين أصحابه إلا مدرسة بلغت إلى العالم رسالة حضارة جديدة " [1].

---

[1]) مالك بن نبي ، الفكر الافرواسيوية ، وزارة الاعلام و الاتصال ، القاهرة ، 1956 ص 76

[2]) : شايف عكاشة ، الصراع الحضاري في العالم الاسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1993 ص 110 -112

[3]) مالك بن نبي ، شروط النهضة ، دار الفكر ، دمشق ، 1978 ص 104

فالمدرسة الحقيقية تستمد مصدرها من أصول الفكر الإسلامي " فالتربية تستلزم وضوحا في الهدف من المدرسة و الكتاب و البرامج و إعداد المعلم و كل ما يتعلق بها ، و هي عملية مخططة مستمرة وفق برامج تنفد في مدة زمنية محددة تتجاوز حدود المدرسة إلى المجتمع حتى يكون لها دورها في نهوض المجتمع و تقدمه ، و في تدليل كل الصعوبات التي تعترض مسيرة البناء و الصنع للتاريخ الجديد [2]

[1]) مالك بن نبي ، بين الرشاد و التيه ص 78
[2]) اسعد ساحمراني ، مالك بن نبي مفكرا اصلاحيا ، ص 229

2 الفصل الثاني : نظرة زغريد هونكة للاصلاح الحضاري :

المبحث الأول : ماهية الاستشراق .

1- مفهوم الاستشراق

2- النشأة والمراحل

المبحث الثاني : نبذة تاريخية عن حياة زيغريد :

1- حياتها

2- آراؤها و مؤلفاتها .

المبحث الثالث : أهمية العلاقة بين العرب و الغرب عند زغريد:

المبحث الرابع : تأثر الغرب بالحضارة العربية الإسلامية .

1- ميدان الصناعة و التجارة

2- العقيدة و الدين

3- العلوم الاخرى

1/ ماهية الاستشراق :

1- مفهوم الاستشراق :

أ- لغة : الاستشراق كلمة مركبة من الشرق إضافة إلى الحروف الزائد"الهمزة و السين و التاء " (أ-س- ت) و تعني طلب الشيء : فالاستشراق إذن يعني طلب الشرق .

و الشرق كما جاء في لسان العرب من مادة الشرق " شرقت الشمس ، و شرق شروقا ، طلعت : اسم الموضع المشرق و كان القياس المشرق و لكنه أمر من هذا القبيل و في حديث ابن عباس نهى عن الصلاة بعد الصّبح حتى تشرق الشمس"[1] ولفظة الاستشراق استعملها المحدثون و هي مترجمة عن orientalisme ثم صاغوا الفعل المزيد إسما و حدوده باستشراق .

جاء في تاج العروس (الشرق حين تشرق الشمس و قيل : الشرق ، الذي يدخل في شق الباب ، و شرقت الشمس شرقا و شروقا ، طلعت و إضاءت و انبسطت على الأرض)[2]

ب – اصطلاحا : لم يتفق الباحثون على تحديد بداية تاريخية للاستشراق ، و لعل ذلك يرجع للدراسات الاستشراقية التي سبقت ظهور المصطلح " orientalisme " بزمن طويل يصل إلى قرابة ألف عام[3]

و الذي يعنينا كما يقول الدكتور محمد محمود حمدي الزقزوق (هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذي يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته و آدابه و تاريخه و عقائدة و تشريعاته و حضارته بوجه أخص ، و هذا هو المعنى الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي و الإسلامي

---

[1]) ابن منظور ، لسان العرب دار الصابر ، ط 1 ، بيروت لبنان ، 1410 -1990 ، ص 173

[2]): الزبدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق علي بسيري دار الفكر ، ط ، سنة 1994 ، ج 13 ، ص 237

[3]) محمد حسين علي الصغير ، المستشرقون و الدراسات القرءانية ، مؤسسة جامعية للدراسات ، ط1 ، بيروت ، 1982 – ص 11

عندما يطلق لفظ الاستشراق أو المستشرق و هو الشائع أيضا في كتابات المستشرقين المعنيين) [1]

و يقول المستشرق الألماني : (رودي بارث – R. parthes) : " إن الاستشراق أصبح علما منذ منتصف القرن 19م بعد تخلص المستشرقون من آرائهم القديمة القائمة على التعصب و العنصرية في معظمها ، و اجتهدوا في نقل صورة موضوعية عن بلدان الشرق و شعوبه " [2]

فالاستشراق بتعبير موجز هو دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشرق و لكل ما يتعلق بتاريخه و لغاته و آدابه و فنونه ، و علومه و تقاليده و عاداته ، فهو لا يخرج من كونه تلك الدراسات و المباحث التي قام بها الغربيون لمعرفة الشرق من جميع جوانبه .

أما المستشرق فهو ذلك الغربي الذي يدرس تراث المشارقة و كل ما يتعلق بهم وبعلومهم كما يدرس لغتهم و فنونهم و حضاراتهم و عليه فالاستشراق دراسة يقوم به غير الشرقيين لتراث الشرق إذا ما أجزنا المفهوم الواسع للمصطلح .

2/ النشأة و المراحل :

يرجع تاريخ الاستشراق في بعض البلدان الأوروبية إلى القرن 13 م ... و قد انتشر في أوروبا بعد فترة الإصلاح الديني و السبب المباشر الذي دعى الأوروبيون إليه هو ما تركته الحرب الصليبية من آثار عميقة ...، حين جاءت حركة الإصلاح الديني ، شعر المسيحيون بحاجتهم لإعادة النظر في سروح كتبهم الدينية فاتجهوا إلى الدراسات العبرية ... و هذه الأخيرة فتحت الباب أمام الدراسة الإسلامية التي اهتمت بها الأقسام المتخصصة في الكنيسة البابوية و رعتها

[1]) سعد المرصفي ، المستشرقون و السنة ، مكتبة النثار ، الكويت ، مؤسسة الريان ، بيروت لبنان ، ص 09

[2]) د. الجميل الحاج ، موسوعة الميشرة في الفكر الفلسفي و الاجتماعي ، مكتبة لبنان ص 3

الجامعات الصليبية بعد ذلك في ظل الفراغ الذي كان من نتائج ركود الفكر الإسلامي و الذي هيأ الفرصة للصليبية أن تعمل تحت الاستشراق [1] .

وبالتالي لا يوجد دليل قاطع يدل على البداية الحقيقية و المنظمة للاستشراق ، فالمصادر التي تعرضت لهذا الموضوع تختلف في تحديدها لبدايته .

و بالرغم من اختلاف الباحثين حول نشأته و تشعب الآراء في هذا الموضوع يمكن تقسيم تاريخه إلى مراحل :

أولا : مرحلة الإنبهار بالحضارة و الإتجاه إليها :

هناك اتجاه يقول أن الاستشراق بدأ منذ أن دقت جيوش الفتح الإسلامي أبواب أوروبا ، و قامت الدولة الإسلامية في الأندلس المشهورة بحضارتها التي لم تشهدها أوروبا من قبل ، ومنذ ذلك الوقت أخذ الأوروبيون يغرقون في الجهل والتخلف الحضاري و يبحثون عن أسباب نهضة المسلمين فقامو بدراسة لغاتهم لعلهم يكتسبون الخبرة منها لإنقاد أنفسهم من التخلف و الجهل و يؤكد بعض الباحثين أن أغلبية الأوروبيين اتجهوا نحو الأندلس و تعلموا من مدارسها و تثقفوا بعلومها و تتلمذوا على أيدي علماء المسلمين في مختلف العلوم ، و ترجموا بها الكتب العربية إلى لغاتهم من بينهم ، الراهب الفرنسي "جربرت" و إلى جانب هذا هناك محاولات اتخذت شكل البعثات الرسمية التي وفدت على الأندلس للدراسة وتلقي العلم ، أولها بعثة فرنسية برئاسة الأميرة "إليزابث" ، و الثانية إنجليزية على رأسها الأميرة "دوبان" و غيرها .

و في هذه المرحلة أيضا تمت أول ترجمة للقرآن الكريم و كانت في سنة 1143 م على يد الراهب الإنجليزي "هار مان" [2]

---

[1]) الصابر طعيمة ، اخطار الغزو الفكري على العالم الاسلامي، ط1، سنة 1404-1984 بيروت ، ص 74

[2]) محمد فتح الله الزيادي ، انتشار الإسلام و موقف المستشرقين منه ، دار قتيبة للطباعة و النشر ، ط 1 ، 1411/ 1990 م ، ص 45

ثانيا : مرحلة ما بعد الحروب الصليبية : هي إحدى النتائج المترتبة على فشل الحروب و الحملات الصليبية التي لم تحقق أهدافها التي كانت ترمي لها الكنيسة ، و بعد هذا الفشل جرت محاولات اختراق العالم الشرقي و الذي كان من صوره الإقبال على تعلم اللغات الشرقية لا سيما العربية ، و من الأمثلة على هذه الجهود "رامون لول" في الأندلس و الذي صنفه "جويمر" اول مبشر (1234م /1316 م) ثم تطورت جهوده إلى تأسيس المعاهدة التي تحملت مسؤولية الدراسات العربية ، و من أمثلة ذلك المدرسة (البادويعربية) و تبع ذلك ب (الأديرة) في دراسة المؤلفات العربية المترجمة إلى اللغة اللاتينية ، و قد كان من نتائج هذا الاحتكاك العسكري بين الشرق و الغرب أن تجلت بصورة شبه جلية للغرب . بعض جوانب تقدم الحضارة الإسلامية كالتقدم العلمي المادي الظاهر في القدرات المادية الملموسة لذا العالم الشرقي الإسلامي ، إذا رآى الغرب بعد احتكاكهم بالشرق أناس لهم حضارة و فلسفة و شريعة ، فلفت كل ذلك نظرهم إلى الفكر العربي و حفزهم على التوغل فيه بحثا و تدقيقا [1]

ثالثا : مرحلة التنظيم الفعلي :

في القرن الثامن عشر و هو الوقت الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي و الاستيلاء على ممتلكاتهم ظهرالإتجاه الحقيقي و المنظم للاستشراق ، و قد تمثل ذلك في نبوغ بعض علماء الغرب و الاستيلاء على الكنوز العربية ، المتمثلة في المخطوطات و الوثائق الهامة و نقلها إلى مكتبات و متاحف الغربية ، و ذلك بشرائها من أصحابها الذين لا يعرفون قدرها أو سرقتها من مكتبات عامة حيث كان الاستعمار الغربي يمتلك زمام الأمور في كثير من بلدان العالم الإسلامي، و هذا هو سر و جود الكثير من نوادر المخطوطات العربية الآن في ألمانيا و فرنسا و بريطانيا ، و في كثير من المكتبات الغربية الأخرى ، و قد بلغت

[1]) : ابراهيم المحجوبي ، الاستشراق و الاسلام (المصطلحات النقدية للطروح الاستشراقية) ، اكادمية الفكر الجماهيري ، ط/ 2010، ص 19

نتقبل هذا الشريك و الصديق مع ضمان حقه في أن يكون كما هو[1] .

- لم يعمل العرب على إنقاد تراث اليونان من الضياع والنسيان فقط ، وهو الفضل الوحيد الذي جرت العادة الاعتراف به لهم حتى الان ، و لم يقوموا بمجرد عرضه و تنظيمه و تزويده بمعارف خاصة ، و من ثم إيصاله إلى أوروبا بحيث أن عددا لا يحصى من الكتب التعليمية الغربية حتى القرنين 17/16 م قدمت للجامعات أفضل مادة معرفية – هذا الأمر قلما يخطر على بال الأوروبيين [2]

مؤلفاتها / :

*أحبت الألمانية زيغريد هونكه العرب و صرفت وقتها كله بأدلة الجهد للدفاع عن قضاياها و الوقوف إلى جانبهم و ظهر في معظم كتبها التي نذكر منها :

1- " الرجل و المرأة " : صدر سنة 1955 و كان مؤلفها الأول و هو عبارة عن كتاب تاريخي أكدت فيه كما فعلت في كتبها الأخرى فضل العرب على الحضارة الغربية خاصة الحضارة الإنسانية عامة و أثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية .

2- " شمس العرب تسطع على الغرب " : هو أشهر كتاب غربي وضعته مستشرقة معاصرة ينتصر للحضارة الإسلامية ، و عطاؤها التاريخي و قيمها و عباداتها و لغاتها ومنظوماته التشريعية والثقافية الضابطة لحياة مجتمع متحضر و هي الحضارة التي علمت العالم كله كيف يكون التحضر [3]

---

[1]) www. Diwanalarab.com/ spisp.php.3.article7094

[2]) www. Diwanalarab.com/ spisp.php.3.article7094

[3]) ينظر : زيغريد هونكة شمس العرب تسطع على الغرب، ص 07.

3- " ليس الله كما يزعمون" : فاجأت العالم بهذا الكتاب و فيه كشفت عن ألف حكم مسبق ضد العرب و المسلمين قام على التضليل و الإفتراء و من خلاله شرحت لقرائها تأثير الحضارة العربية غير المحدود على التطور في أوروبا ، على صعيد الطب و الهندسة و العلوم و الثقافة [1]

(1) www. Diwanalarab.com/ spisp.php.3.article7094

المبحث الثالث:اهمية العلاقة بين العرب و الغرب عند زغريد هونكة :

من خلال قراءة تاريخ الأمس البعيد لكل أو معظم الممالك و الإمبراطوريات والدول يتضح أن الأمم كانت تخضع للهوى أكثر مما تخضع لمعطيات الواقع المعاش. فكان ذلك التاريخ الذي رسمت صورته النزاعات الشخصية و الأهواء والرغبات الذاتية ، و لعل الأقلام الغربية التي خطت تاريخ الحروب الصليبية لم تنطلق من النزاعات و الأجواء فحسب و إنما ساهمت بتنمية الأحقاد ولّدها جهل الجاهلين لتكون أداة لتوليد ألف برزخ و برزخ بين الشرق و الغرب [1]

يوصف الغرب بالنموذج للتقدم في جميع المجالات : صناعيا و تكنولوجيا علميا واقتصاديا و زراعيا و اجتماعيا .... الخ ، و تظهر الإزدواجية على علاقة قائمة بين الإسلام و الغرب فقد كانت من جهة علاقة حرب صليبية استعمارية صهيونية، ومن جهة أخرى علاقة تفاعل و تعامل حضاري ، إذ يرى العديد من الدارسين الغربيين أنفسهم أن النهضة الأوروبية مدينة في كثير من جوانبها للحضارة الإسلامية و أنها كانت الواسطة بين الحضارة اليونانية و أوروبا الحديثة.[2]

ومن بين الغربيين الذين أقروا هذه الحقيقة المستشرقة الموضوعية زيغريد التي فندت الأحكام الخاطئة و التهم الملفقة التي يلصقها الغرب بالعرب و المسلمين.

فقد كانت اليقظة العقلية الحقيقية الغربية بعد رجوع الصليبيين إلى ديارهم والفضل يعود في ذلك إلى احتكاكهم بالمشارقة ، فقد كان تأثير الحضارة الشرقية

---

[1]) محمد راشد، العبور الى المستقبل ،الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا دمشق، ط1، 2006، ص 23

[2]) ينظر ابراهيم سعدي ، المجتمع العربي نظرات في الفكر و الثقافة ، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرعاية الجزائر 2009 ص 103

عظيما في كافة فروع المعلومات البشرية و الأنظمة الإجتماعية و السياسية و حتى في بعض الإصلاحات الكنيسية و حتى في كثير من المشاريع المفيدة .[1]

و هذا يبين أن العرب كانوا رائدي شعوب الأرض في الحضارة و التجارة و قد تأثر الغرب بتقاليد الدول العربية المسلمة و أن العالم" ليوراندو" قام بتعليم الغرب تلك الأرقام لما فيها تلك العلامة (0) التي يسميها العرب صفرا و تاريخ كلمة الصفر جديرة بالإهتمام لأنها كلمة ziffer نفسها التي نرددها اليوم في ألمانيا دائما بمعنى الرقم .[2]

كما قالت أيضا : " لقد اتخد الهنود تلك الكلمة (0) كرمز للفراغ الذي تركوه بين الأرقام ، و عندما تعلم العرب الأرقام الهندية بما فيها هذه العلامة و عرفوا أهميتها ، فترجموا كلمة sunga بمعنى الفراغ إلى العربية فأصبحت الصفر ، فكما أخد" ليوراندو" عن العرب طريقتهم في كتابة الأرقام من اليمين إلى اليسار كذلك فقد أخذ عنهم كلمة الصفر و كتبه باللاتينية cephinum .[3]

<u>بعض شهادات الغربيين المنصفين على فضل وتأثير الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الاوروبية .</u>

لقد شهد بعض الغربيين على تأثير الحضارة العربية في النهضة الأوروبية وقد استفاد الأوروبيون مما توصل إليه المسلمون من اكتشافات و ما كان عندهم من تجارب و خبرات و الدليل على ذلك شهادات بعض الغربيين منهم :

1- سيديليوث : في كتابه (تاريخ العرب) الذي يقول :" كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم و الفلسفة و الفنون و قد نشروها أينما

[1]) احمد رضا بك ، الخيبة الادبية للسياسة الغربية في الشرق ، ترجمة محمد بورقيبة و محمد صادق الزمرني دار بوسلامة للطباعة و النشر ط2 تونس ص 194 .

[2]) ينظر موسى عبد اللاوي ، الحضارة الاسلامية و اثارها على المدينة الغربية ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة 2008 ص 171

[3]) ينظر موسى عبد اللاوي ، الحضارة الاسلامية و اثارها على المدينة الغربية ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة 2008 ص 171-172

حلت أقدامهم و ترسبت عنهم إلى أوروبا فكانوا سببا إلى نهضتها وارتقائها.[1]

2- و يقول غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) : " و لا نرى في التاريخ أمة ذات تأثير بارز كالعرب ، فجميع الأمم التي كانت ذات صلة بالعرب ، اعتنقت حضارتهم و لو حينا من الزمن ... " [2]

3- ويقول لينري :"لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتاخرت نهضة أوروبا الحديثة عدة قرون...."

4- و يقول بري فولت في كتابه (في تكوين الإنسانية) : "العلم أعظم ما قدمت الحضارة العربية إلى العالم ، و مع أنه لا توجد ناحية واحدة من نواحي النحو الأوروبي إلا و يلحظ فيه أثر الثقافة الإسلامية النافذة ألا و إن أعظم خطر هو ذلك الذي أوجد القوة التي تؤلف العامل البارز الدائم في العالم الحديث و المصدر الأعلى لانتصاره أعني العلم التطبيقي ، و الروح العلمية ... و هذه الحقائق مفادها أن الإسلام دين حضاري" [3]

---

[1]) ينظر موسى عبد اللاوي ، الحضارة الاسلامية و اثارها على المدينة الغربية ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة 2008 ص 172-

[2]) المرجع نفسه ص 172

[3]) المرجع نفسه ص 172-173

المبحث الرابع: تاثر الغرب بالحضارة العربية الاسلامية

1- الصناعة و التجارة :

تحدثت مئات الكتب و الأسفار عن أثر الحضارة العربية على الغرب ، ولعل كتاب زيغريد هونكة (شمس العرب تسطع على الغرب) كان أكثر دقة وموضوعية لما اتسع له من إيضاح للأثر الكبير الذي أحدثه العرب في الفكر والمجتمع الأوروبي ، و لقد بلغ التأثير العربي درجة غدا فيه شبان و شابات أوروبا يقرضون الشعر بالعربية و يقلدون العرب في ملبسهم ومأكلهم و عاداتهم .... الخ .

ويظهر هذا في الفصل الثاني من كتابها الشهير قائلة :" يؤخذ أنه عام 983 أبحرت سفينة تمخر عباب الأطلس مارة بالشواطئ الغربية الفرنسية و كانت هذه السفينة محملة ببضائع مختلفة منها الزيت الأندلسي و التين ..... و التوابل الشتى ، كانت تفرغ منها كل من " بوردو ، و روان و اترخت ، و شلازفيك " و قد رافقها في رحلتها هذه وفد يرأسه سيدي ابراهيم بن أحمد الطرطوشي ، الموفد من قبل الخليفة الحاكم الثاني في قرطبة . و كان هدف هذه الرحلة أن تقصد قصر الملك الروماني الطائر الشهرة " هوتو" الأول في بلاد الساكس ..... و ما إن حل شهر أفريل حتى نقل الإمبراطور بلاده إلى مدينة مزروبرج (merseburge) حيث أتيح لوفد أمير المؤمنين برئاسة إبراهيم بن أحمد الطرطوشي أن يتشرف بمقابلة أمير المسيحية الأول ، و كلن لقاءا حارا قبل فيه القيصر هوتو الأول كل الهدايا الثمينة التي عدت أثمن الهدايا التي وقع عليها بصره ، فقابلها بالمثل و لم يمر وقت طويل حتى أغمض إمبراطور بلاد الساكس الكبير جفنيه للمرة الأخيرة .[1]

وفي طريق العودة مر الطرطوشي بكل من هذه الحواضر " سوست " " soest " و بدر بورن "baderborn " و فولدا "fulda " حتى وصل الى ماينز "

[1]) زيغريد هونكة شمس العرب تسطع على الغرب ص 21-22

maynze " و هي مدينة في بلاد الفرجة تقع على نهر" الرين" ، وقع له حادث أثر في نفسه أشد التأثير ففي هذه المدينة دس تاجر في يده قطعا من النقود العربية أثارت دهشته لأنها تحمل خطا كوفيا و اسما عربيا و التاريخ التالي : 303 – 392هـ ،وقد استولى عليه عجب كبير حين اتظح له أن في يده قطعا ذهبية من سامرقند يعود تاريخ صكها الى ستين عاما [1] .

و قال محدثا نفسه بعد إمعان الفكر : " إنها لا ريب تعود في تاريخها الى ايام الصلطان نصر بن احمد السمرقندي [2] .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد و مما زاد في تعجبه و دهشته تلك التوابل التي وجدها في بلاد الفرنجة و التي لا توجد الا في اقصى بلاد الشرق كالبهار والقرنفل و الجنجلان و تقول الكاتبة زغريد هونكة و لو تسنى له أن يطلعه على لائحة الحاجيات التي كان يعمل على شرائها الراهب المسؤول عن أقبية الدير كوربي curbi في مقاطعة سوما الهاجعة في طرف العالم تقريبا ، ذلك الدير واقع على بعد سبعين كلم من مدينة كامبري لكانت دهشته أعظم ، و يكفينا المثال على ذلك أن نلقي نظرة على ما ورد في هذه اللائحة .

- 120 بهار
- 120 كمون
- 70 زنجبيل
- 10 قرنفل
- 15 قرفة
- 10 بخور
- 10 أكلادن أو المستكاء

[1]) ينظر موسى عبد اللاوي ، الحضارة الاسلامية و اثارها على المدينة الغربية ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة 2008 ص -151 -152

[2]) زغريد هونكة شمس العرب تسطع على الغرب ص 22

- 3 مر أو الصبر
- 10 جلجلان
- 10 مرهم
- ورق القويسة
- 10 اسفنجة
- 10 من نكهة مهدئة
- 3 دم التنين
- 3 العندم
- 2 صقر [1]

و تقول المؤلفة زغريد هونكة ان البضائع الواردة من أقاصي الشرق إلى إقاصي الغرب دخلت الحياة اليومية الأروبية ، و لم تعد تقتصر على استعمال التوابل والبخور فقط ، وإنما تعدت الى الانتفاع بالحشائش الطبية فأصبحت هذه كلها من ضروريات حياة رجال الكنيسة و رهبان الأديرة الذين لم يعد بإمكانهم الاستغناء عنها فلولا الهبات التي تدفقت من الشرق العربي لوقعت في حيرة من أمرها .

و منذ أن وضع القيصر هوتو الأول حدا لقبائل المجر التي كان لها فساد في أوروبا و امتد إلى مملكة الخزر فرع قوي مكن التجارة العربية الشمالية أن تجد طريقها إلى الأديرة و المدن في وسط أوروبا ذلك أن طرق التجارة الكبيرة كانت تصل حتى مدينة براغ كما ذكر ذلك اليهودي ابن يعقوب الذي وصل الى قصر ملك بلاد السكس هو توني مرلنج [2]

---

[1]) زغريد هونكة شمس العرب تسطع على الغرب ص 23

[2]) ينظر موسى عبد اللاوي ، الحضارة الاسلامية و اثارها على المدينة الغربية ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة 2008 ص -153

أ- **صناعة الورق** : كان كتبة التجارة و الأعيان و رهبان الأديرة يستعملون " ورق البردي " papierrus في الكتابة و كانت تصل شحنات منه باستمرار إلى مرسيليا قادمة من مصر ، و عند توقف مجيء السفن الى مرسيليا اضطر الناس في أوروبا إلى أن يقتصدوا بما لديهم من شحنات قديمة من الورق ، و ذلك خوفا مت اللجوء الى استعمال الورق الغالي أو أن يمحوا الكتابات القديمة ، و لكن بعد حقب من الزمن اصبح بين أيدي الأوروبيين مادة للكتابة ، وقد رأوا كذلك أن الخطاطين العرب هم وحدهم الذين يستعملون الرق pergamonالباهض الثمن في نسخ الكتب المقدسة و أما الآخرون كلهم يتعلمون فن الكتابة هناك ، فانهم يستعملون هذا الصنف من الورق الناعم و قد يستخدمونه أيضا في أغراض أخرى ، كلفت البضائع مثلا و الحاجات لكثرة ما لديهم منه و بهذا اكتشف الجميع الورق في كل الأنحاء عند محاسبي التجار العرب و غيرهم من التجار الأوروبيين [1]

ب -تطوير صناعة الورق : في عام 751 نقل العرب جماعة من أسرى الحرب الصينيين إلى سمرقند و عندما أرادوا بيعهم عبيدا اتضح لهم أن قسما من هؤلاء الأسرى كان بارعا في صناعة الورق و خبيرا فيه فازدهرت في البلاد صناعة الورق و ركزت الجهود على تحسينها و ترقيتها ، و أصبح الكتان و القطن عماد صناعة الورق الأبيض الناعم فعمر الإمبراطورية كلها حتى العاصمة نفسها بغداد حيث احتفل بنجاحه بعد أن انطلق من سمرقند و بعد عدة قرون غدت بلاد الغرب في حاجة ماسة إليه لكثرة ما كانت تنسخ من وثائق،

[1]) ينظر موسى عبد اللاوي ، الحضارة الاسلامية و اثارها على المدينة الغربية ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة 2008 ص -153- 154

فتعرفت عليه أولا و استوردته ثانيا ، و استهلكت منه كميات كثيرة وأودعت مخازن كثيرة منه ، و لا شك في أن هذا الورق حين ذاك أضاف صفحة مشرقة لتاريخ العرب ، و قد أدرك الخليفة المنصور قيمة هذه المادة للكتابة و مدى الإستهلاك الكبير الذي عرفته من قبل العلماء و التجار و الموضفين و أدرك أن بوسعه أن يتحرر من ربقة استيراد ورق البردي من مصر .

وازدهرت صناعة الورق في البلاد العربية الإسلامية [1] انتقلت صناعتها لسوريا حيث ترك المنصور وراءه في دمشق و طرابلس قواعده مارا بفلسطين و مصر لينطلق منها إلى الغرب و تونس ومراكش ، تعرفت بلاد الغرب على هذه المادة الكثيرة النفع التي هي في الحقيقة إحدى دعائم الثقافة [2]

لقد فتح ورق العرب هذا عصرا جديدا لم يعد فيه وقفا على طبقة معينة من الناس ، بل غدا مساعا للجميع و دعوة لكل العقول لأن تعمل و تفكر و الواقع أن الورق و استعماله قد أدى في وقت قصير في كل العالم الى اختراع فن الطباعة [3]

ب -اختراع العرب البوصلة : تقول الدكتورة الألمانية هونكة أن "فلافيو" عرف هذه آلة البوصلة عن طريق العرب ، بل إنه لم يكن أول شخص عرفها في بلاد الغرب فمن المعلوم أن الصينيين كانوا يعلمون منذ زمن بعيد أن الإبرة المغناطيسية تشير دائما إلى الشمال ولكنهم في حديثهم نفسه لم يستدلوا على استعمال البوصلة إلا بواسطة

---

[1]) المرجع نفسه ص 154 – 155

[2]) ينظر موسى عبد اللاوي ، الحضارة الاسلامية و اثارها على المدينة الغربية ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة 2008 ص -155

[3]) المرجع نفسه ص 155

غيرهم ولما كانت السفن التجارية تصل ذلك الوقت أي القرن الحادي عشر إلى المحيط الهندي ، يرجح الرأي القائل بأن هؤلاء الغير هم العرب بالذات ، و ثمة مصادر عربية تؤكد استعمال العرب البوصلة في ذلك العصر . و في عام 1269 م نقل بطرس فون ماري كور عن العرب مباشرة معلومات عن المغناطيس و عن كيفية استعمال البوصلة ، أدخل استعمالها إلى أوروبا في رسالته epistol demagneteوبعد ذلك بخمسين عام أي حوالي 1320 م اكتشف الإيطالي البوصلة كما زعموها قديما [1].

ج -**اختراع البارود** : ينسب اختراع البارود إلى بعض الكتاب الصينيين فهناك من ساعد هؤلاء الكتاب و مدهم يد المساعدة ، تقول الكاتبة الألمانية زغريد :"إننا نقف الأن أمام تطور فن الصواريخ العظيم دون أن نسائل أنفسنا : إلى من ندين بهذا الإختراع ؟ و خاصة أننا نحن معشر الأوروبيين كنا أحد أسباب نشوئه دون أن ندري ، وهل كان الصينيون أول من فكر بإطلاق الصواريخ بواسطة البارود؟ ففي المعركة بين كينغ عام 1232 ظهرت فجأة إبان المعركة اليائسة ضد المغول أسهمت طائرة مدفوعة بقوة البارود من قبل الصينيين و حوالي 1270 م استعمل المغوليون أنفسهم البارود فكان أن قرر مصير المعركة المحتدمة حول مدينة فإن – تشينغ – المحاصرة ، و بواسطته تمكن غيبلاي خان المغولي من التغلب على آخر مقاومة من الصين القديمة ، و لكن و بمساعدة من ياترى ؟ " [2] إننا نسمع الجواب من المؤرخ رشيد الدين من قصر السلطان العربي،

---

[1]) المرجع نفسه ص 155 – 156

[2]) زغريد هونكة شمس العرب تسطع على الغرب ص

أن قبلان خان قد تقدم إلى البلاط العربي بطلب يرجو فيه إيفاد مهندس له كان قد أتى دمشق و بعلبك و قد بنى أبناء هذا المهندس أبو بكر و إبراهيم و محمد مع الجماعة التي صحبتهم 7 آلات ضخمة أتوا بها إلى المدينة المحاصرة [1].

و السؤال الأن هو هل وضع المهندسون العرب في بانغ كونغ علمهم ذلك تحت التصرف؟ و هل القذائف التي استقبلت بها القائد المصري القائد (فخر الدين صديق فريد يربك الثاني) الجيوش الفرنسية وملكها القديس بحفاوة شديدة لدى الحملة الصليبية كانت عربية ؟ لقد كتب رسول أندلسي محارب يقول :" أنه كلما انطلقت قذيفة في الفضاء كان يبلغ التاثر بملك فرنسا مبلغا كبيرا فيصيح بأعلى صوته سيدي الحبيب احمني و شعبي الحبيب "[2] .

العقيدة و الدين :

هذا الميدان يبين لنا حقيقة أن الإسلام دين النهضة الشاملة و الحضارة المتنوعة و المدينة النتجددة و يظهر هذا في أن الحضارة العربية :

1-قررت الإيمان بالله الواحد المنزه عن التشبيه و الشريك و الولد و شعائرها "قل هو الله احد الله الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفؤا أحد"

2-نفت عقيدة الوساطة بين الخالق و المخلوق و شعارها في ذلك : " و إذا سالك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون " البقرة 186

3-جمعت في طياتها عقيدة كل الديانات السابقة و شعارها " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا و الذي أوحينا إليك و ما وصينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن

[1]) ينظر موسى عبد اللاوي ، الحضارة الاسلامية و اثارها على المدينة الغربية ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة 2008 ص -168

[2]) المرجع نفسه ص 169

أقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبي إليه من يشاء و يهدي إليه من ينيب " [سورة الشورى 13][1].

4-قررت أن الكتب السماوية يصدق بعضها بعضا و المتأخر يتمم منها المتقدم وينسخه ....

5-قررت أن الأنبياء و العلماء و الربانيين ليس لهم من الأمر من شيء ولا يملكون للمخلوق ضرا ولا هداية و لا مغفرة و إنما المراد ذلك إلا الله سبحانه و تعالى

6-قررت مبدأ المسؤولية الفردية و اعتبرت كل إنسان مسؤول عن عمله و اتضح هذه في الآية الكريمة "ولا تزر وازرة وزر أخرى " [الانعام :الآية164]

7-قررت حكم و تشريع الله وحده و شعائرها " أن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه " [سورة يوسف الاية 4] " فإن تنازعتم بشيء فردوه إلا الله و رسوله " [النساء الآية 59]

العلوم الأخرى :

كانت أوروبا في القرون الوسطى في نوم عميق و كان الجهل يخيم على أرجائها و لم تعرف عن الفلسفة و علم الفلك و الهندسة الرياضيات و الكيمياء إلا القليل .

أ- الفلسفة : عرفت الحضارة العربية الإسلامية إنتاجا غزيرا و وفيرا في الفلسفة و أسماءا لامعة في هذا المجال و من بينهم :

*الفيلسوف ابن رشد المتوفي في 595 هـ و هو أعظم فيلسوف أندلسي ترك أثرا واضحا في الغرب و قد ترجمت كتبه إلى اللاتينية و بقيت فلسفته المسيطرة على الفكر الفلسفي الأوروبي من أواخر القرن الثاني عشر ميلادي .

*الفيلسوف ابن سينا : الذي ذاع صيته في العصور الوسطى في الشرق و الغرب في الفلسفة و الطب ..... و من أشهر كتبه (كتاب الشفاء) و يعتبر موسوعة فلسفية

[1]) المرجع نفسه ص 157 158

كبرى حوت أقسام الفلسفة من منطق و طبعيات و قد ترجم إلى اللاتينية و منها إلى بعض اللغات الأوروبية [1]

ب – التاريخ و الجغرافيا : أصبح ابن خلدون (1332 -1406) مؤرخ وفيلسوف شهير رائد علم الاجتماع ، و قد قام بدور المتابعة و الإكمال الذي قام به العلماء والعرب الذين استشهروا في معظمهم كالفلاسفة و من أشهر المؤرخين المعروفين في التاريخ : ابن حيان القرطبي و الرازي و ابن الخطيب و ابن الاثير و الطبري و غيرهم [2]

و اتبع المؤرخون المسلمين منهاجا منظما تنظيما تسلسليا في تدوين تواريخهم بطريقتين :

اولا : الحوليات : و هي ذكر حوادث سنة فنجد المؤرخ التاريخي مثلا يقول ، وفي سنة كذا حدث من هذه السنة انتقل إلى التي بعدها

ثانيا : التاريخ المتسلسل و الطريق : يبدأ المؤرخ بحادثة فيسردها من أولها إلى آخرها . أو يبدأ بتاريخ دولة أو معهد فيعرضة بتواريخه كوحدة مستقلة .

و من الجغرافيين ذوي الرحلات العالمية:

الرازي ، و أبو عبيد البكري و العذري ، و الإدريسي و ابن جبير و ابن بطوطة ، و غيرهم .

و الإدريسي هو الذي صنع كرة فضية ضخمة تمثل الكرة الأرضية و ما تزال محفوضة في متاحف برلين حتى اليوم [3]

ثالثا : الفلك : لقد كان للمسلمين مراصد علمية و فلكية في الطليطلة و قرطبة وبغداد و دمشق و القاهرة و سمرقند و فارس في عصر الخليفة هارون الرشيد

---

[1]) زغريد هنكة شمس العرب تسطع على الغرب ص 305

[2]) موسى عبد اللاوي الحضارة الاسلامية و اثارها على المدينة الغربية ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة 2008 ص -160

[3] المرجع السابق ص 161 – 162

وابنه المأمون صاغ العرب كل أسماء النجوم و الكواكب ، لذى ترجمتهم لأعمال الفلكي الكبير ابرخس hippach مع عدم إغفال أسمائها القديمة التقليدية الأمر الذي جعل معظم أسماء الكواكب الثابتة في بعد أسماء ذات مصدر عربي . و لم ينحصر الأمر بأسماء النجوم فحسب بل تعداها إلى الرموز الفلكية و إشكالها التي يعرفها الكل مثل سموت الشمس asimut و كان العرب أول من حاول قياس الأرض بواسطة زاوية اشعة الشمس ، و كانت طريقة العرب تقضي بأن ينطلق فريقان من جهة ما ، فيذهب فريق إلى ناحية الشمال و آخر إلى الجنوب ، بحيث يرى الأول منهما صعود التيس الفتي و الثاني هبوطه ، ثم تحسب درجة خط الطول بواسطة قياس المسافة بين الفريقين المراقبية و كانت النتيجة دقيقة للغاية [1]

د- الرياضيات :

إن الوسائل الفكرية التي وضعها العرب في متناول الأوروبيين والإكتشافات العلمية العضيمة التي حققوها و الإختراعات الفيزيائية و التقنية كانت أحد شروط تفننهم في هذين الحقلين الواسعين ، لقد كان العرب أساتذة خلاقين في علم الرياضيات و مالوا إلى الأخذ بعلم الأعداد ذات الحجم الكبير الذي يفوق علم الفلك رحابة و عظمة ، و هذا ما تمتع به الحسن- صغير أبناء موسى- فبفضله استطاع العرب أن يجدوا فروعا علمية جديدة مثل اكتشافهم الفوائد الصغيرة التي تزين الهدايا الهندية و طوروها مع غيرها ووصلوا إلى ذروة عالية .

ولقد أوجد العرب أيضا الحساب العشري بعد الفاصلة dezimal، و أتحف علم الحساب برائعة من روائعه و أسدى إليه خدمة كبيرة حين حول لأول مرة في التاريخ الكسور ك 125/10X2 ، 100/8X 2

[1]) زغريد هنكة شمس العرب تسطع على الغرب ص 118-120

إلى 3.08 الذي جعل فن الحساب في متناول الجميع إذ لولا هذا التحويل لما وجد العلم اللوجارتمي logaritme [1]

هـ- الطب العربي الإسلامي :

إن كتب العرب في موسوعات ضخمة و جداول للطلاب في شكل أسئلة وأجوبة إلى كتب تمهيدية و لوائح جامعية ، ضمت بين دفتيها كل المعارف السابقة و العصور الحاضرة ، هذه الكتب امتازت بروح عملية أصيلة ، و عبرت عن موهبة منهجية نظامية رائعة و عبقرية خلاقة و فسرت كل ما غمض ، و تمعنت في الوصف الدقيق لكل العوارض و أشكالها و تطورها و قد قال عنها مؤرخ الطب "نوبورجر" : " إن العرب هم الذين أدخلوا النور و الترتيب على تراث القدماء الذي طالما اكتنفه الغموض و نقصه التسلسل فمن بينهم : أبوا قاسم الزهراوي : (936- 1013) هم نجم الجراحة العربية الساطع في قصر الحاكم الثاني في قرطبة ، كتابه الشامل لكل تجاربه الخاضة : (التصريف لمن عجز عن التاليف) ، و قد مثل القسم الثالث من هذا الكتاب دورا هاما في أوروبا إذ وضع أسس الجراحة الأوروبية ، فأصبحت هذه الأخيرة مستقلة بذاتها ، و معتمدة في أصولها على علم التشريح " [2] ، أما الطبيب الإشبيلي ابن زهير المنحدر من عائلة عريقة ، و صاحب كتاب (التسيير في المداومة و التدبير) ، فيقف إلى جانب الرازي في أبعادهما الطب عن الفلسفة و الدين و التأثر بمعتقد سابق أو قول موروث .

أما أبوا بكر الرازي (850-932) فهو أول طبيب عربي دون الملاحظات على مرضاه و راقب تطور المرض ، و ضواهره و كان كثير الملاحظة عظيم الإنتاج، و هو أول من وصف الجذري و الحصية في رسالته المشهورة ، و أول من قال

[1]) ينظر، شمس العرب تسطع على الغرب، 156-160

[2]) موسى عبد اللاوي الحضارة الاسلامية و اثارها على المدينة الغربية ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة 2008 ص -164 -167

بالعدوى الوراثية ، و أول من استخدم الماء البارد في أمراض الحميات المستمرة مما أخذ به علم الطب الحديث و اشهر كتبه (الحاوي ، رسالة في الجذري والحصبة ، و كتابة الأسرار) .... الخ

و يقول الرفاعي عن ابن سينا : " و هو أسطع نجم في سماء الطب العربي وألمع شخصية من الشخصيات العلمية الإسلامية في جميع مجالات العلوم . فهو أول من وصف التهاب السحايا الأول وصفا دقيقا ووصف أسباب اليرقان ، و فرق بين شلل الوجه الناتج عن سبب داخلي في الدماغ أو سبب خارجي ، و فرق بين داء الجنب و ألم الأعصاب ما بين الأضلاع ، ووصف السكتة الدماغية الناتجة عن كثرة الدم "... و غيرها من الإكتشافات .[1]

و عليه فإن ابن سينا أشهر علماء الطب ، و هو صاحب قانون الطب الشهير الذي يعود إليه إكتشاف مفاعيل أدوية جديدة و اختراع البنج ، و درس علاقة الصحة بالبيئة المحيطة .

[1]) المرجع السّابق، ص 166- 167

الفصل الثالث

المبحث الأول :

شروط قيام الحضارة عند زغريد هونكة و مالك بن نبي .

المبحث الثاني :

نظرة مالك بن نبي للإصلاح و ما أدلت به زغريد هونكه.

المبحث الثالث :

أضرار الحضارة الغربية بعد انهيار الحضارة الإسلامية .

في أواخر القرن 19 ، مائتين و خمسين ألف مجلد مع العلم بن العدد في تزايد مستمر منذ ذلك الوقت نظرا لنشاط المستشرقين ، و اهتمامهم بهذه الكنوز التي تمثل في الواقع التراث الحقيقي للآلة الإسلامية [1]

بمرور الوقت ازدادت هذه الحركة تنظيما ، و ازدادت اتساعا ، و شعر روادها بضرورة و جود رابط يجمع أعضاء هذه الحركة ، و يعطي لهم الفرصة للتلاقي و التشاور ، و قد تم ذلك عندما عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس سنة 1783 ، ثم عقدت عدو مؤتمرات درس فيها المستشرقون خطط عملهم و نظموا جهودهم ، بغية الوصول إلى هدفهم المنشود . و لم يظهر الاستشراق كعلم له أهمية إلا عندما شعرت الحكومات الغربية بحاجتها إلى دراسة أحوال البلاد الشرقية التي استعمرتها ، فأخذت هذه الحكومات تنفق الأموال الطائلة عن أبحاث المستشرقين ، و تشير بعض المصادر التاريخية إلى و جود تعاون وثيق بين كبار المستشرقين والمسؤولين بين و زارات الخارجية و المستعمرات في كثير من البلدان الغربية ، كما أن الدراسات في أقسام الدراسات الشرقية في الجامعات الغربية هي دراسة موجهة توجيها سياسيا و استعماريا لخدمة أغراض معينة و من ثم يصعب على الطالب العربي أو المسلم اختيار الموضوع الذي يريده و إذا تمكن من اختياره فإن فرصة النجاح فيه معدومة [2]

و كنتيجة لإنفاق الأموال الطائلة على أبحاث المستشرقين تميزت هذه المرحلة بظهور العديد من الكتب و الموسوعات التي تناولت الثقافة العربية و الإسلامية ، من مختلف نواحيها ، كما ازدحمت المجالات العلمية أيضا بالمقالات التي كتبها المستشرقون عن التاريخ و الحضارة و الفكر الإسلامي ، و الملاحظ على هذه الكتابات عموما ، بل على هذه المرحلة بكاملها أنها تميزت بتغيير شكلي في

[1]) ينظر : عبد الرحمان حسن ، حبنكة الميداني ، اجنحة المكر الثلاثة و خوافيها ، دار القلم ، دمشق ، ط8 ، 1420 هـ / 2000 م ص 119

[2]) ينظر : محمد فتح الله الزيادي ، انتشار الاسلام و موقف المستشرقين منه ، ص 49

الأسلوب الذي كان ينتهجه المستشرقون في الهجوم على الإسلام حيث أنهم انتقلوا من الهجوم المباشر إلى الهجوم الخفي فإذا كنا في المراحل السابقة نرى كتابات لا تتوزع في إظهار حقدها على الإسلام ، فإننا في هذه المرحلة نرى أسلوبا جديدا قد يفهم منه الإنصاف و لكن عند التدقيق فيه لا تكاد تجد فيه إلا التشكيك و الكيد للإسلام و أهله [1]

رابعا : مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية 1945 م :

من سمات هذه المرحلة و التي تمتد إلى يومنا هذا الإستمرار في عقد المؤتمرات وتطوير أسلوبها ، و توسيع دائرة عضويتها و كذلك زيادة عدد المجالات العلمية التي بدأت تصدر في كل بلد أوروبي تقريبا ، و ازدياد نشاط أقسام الدراسات الشرقية في الكثير من الجامعات الغربية و ذلك نتيجة للأعداد الكبيرة من الطلاب الوافدين على هذه الأقسام للدراسة العليا ، و من الملاحظ على هذه المرحلة الإنخفاض الواضح في مستوى عمل الإستشراقيين حيث لم نعد نرى ذلك النوع من المستشرقين الذين يفنون أعمارهم في تحقيق مخطوط أو في جمع شتات مؤلف مندثر في أماكن متفرقة ، على أن المنهج الاستشراقي في الكتابة و البحث لا يزال حتى يومنا هذا يسير على نفس المنهج الذي بدأ به كما أن الارتباط بين المستشرقين و بين الدوائر الإستعمارية و الكنيسة لا يزال قائما حتى الآن بل ربما زاد هذا الارتباط كثيرا نتيجة للدعم المستمر من الحكومات الغربية ، و الذي استطاع معه المستشرقون تغيير أساليبهم و وسائلهم ، و تطويرها في تطور الظروف و الاحوال .

و مع أن الاستشراق ظل بعد الحرب العالمية الثانية يسلك نفس الطريق الذي سار فيه من قبل فإن الدعوة تحرره من آثار السياسة و الإستعمار و التعصب و إثارة الشبهات حول المسلمين و تراثهم ...، و عمل المستشرقين أصبح علما خالصا

[1]) ينظر : محمد فتح الله الزيادي ، انتشار الاسلام و موقف المستشرقين منه ، ص 50

وجملة القول أن الاستشراق ما دام ينطلق في أبحاثه من النظرة القائمة على أن الإسلام ليس دينا صحيحا و أن محمد صلى الله عليه و سلم ليس نبيا مرسلا ، والقائمة أيضا على التوجيه المقصود نحو بلبلة أفكار المسلمين و غيرهم حول الإسلام فإن دعوى الإتجاه العلمي الخالص للإستشراق في العصر الحاضر لا يمكن التسليم بها أو تصديقها [1]

[1]) ينظر : محمد فتح الله الزيادي ، انتشار الاسلام و موقف المستشرقين منه ، ص 51-52

المبحث الثاني: نبذة تاريخية عن حياة زيغريد هونكة :

بقدر ما مثل الاستشراق الأوروبي توجهات ذات طابع غذائي للتاريخ و الحضارة الإسلامية ، و بقدر ما ربط الكثيرون بين تطور الفكر الاستشراقي و بين تطور النزعة الإستعمارية الغربية ، بمعنى اعتبار الاستشراق مقدمة طبيعية لاستكشاف العالم الإسلامي فكريا و سياسيا ، بقدر ما أفرزت لنا الحركة الاستشراقية نماذج فذة و نزيهة و شديدة الجدية في تعاونها مع التاريخ الإسلامي و عطاء المسلمين للحضارة الإنسانية ، و عند ذكر هؤلاء المنصفين و الجادين و الأمناء ، يأتي بكل تأكيد ذكر الباحثة الألمانية الشهيرة "زيغريد هونكه" ، و هي من أنبل الشخصيات النسائية العلمية .

1-حياتها : ولدت "زيغريد هونكه" في 26 أفريل 1913 في كيل ، ابنة الناشر "هاينريش هونكة" [1] ، أحبت الكاتبة العرب و صرفت وقتها كله باذلة الجهد للدفاع عن قضاياهم و الوقوف إلى جانبهم ، كست أغلال التضليل الذي هيمن على الاستشراق الأوروبي تجاه الحالة الإسلامية و هي زوجة الدكتور " شولتزا" المستشرق الألماني الكبير ، الذي اشتهر بصداقته للعرب و تعمقه في دراسة آدابهم و الإضطلاع على آثارهم و مآثرهم ، وقد عاشت المؤلفة مع زوجها عامين اثنين في مراكش في المغرب كما قامت بعدد من الزيارات للبلدان العربية ، تناولت المؤلفة في أطروحتها التي تقدمت بها لنيل درجة الدكتوراه في جامعة برلين" أثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية " [2] كما درست علم أصول الأديان و مقارنة الأديان و الفلسفة و علم النفس و الصحافة وقد تناولت دراسة الأديان بموضوعية ، تعلمت اللغة العربية و أتقنتها و أخذت في قراءة الكتب العربية و بالأخص

---

[1] (www. Diwanalarab.com/ spisp.php.3.article7094

[2]) ينظر: زيغريد هونكة شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون و كمال دسوقي و امرون عيسى الخوري ، دار الصادر بيروت ط 10 ، 1423 / 2002 ص 07 – 08

الأندلسية ، تعرف بإعجابها بالإسلام و العربية و ذلك بعد الحرب العالمية الثانية و سقوط ألمانيا [1]

ومن أشهر كتبها " شمس العرب تسطع على الغرب " فهو ثمرة سنين طويلة من الدراسة الموضوعية العميقة و المكتبة الألمانية لا تحوي في هذا الحقل الواسع ، سوى عدد من المقالات المتناثرة في المجالات العلمية لا تشفي غليل الباحث بدقة . و لذا كان ظهور كتابها هذا حدثا كبيرا في ألمانيا و أوروبا علقت عليه مئات الصحف و المجلات و هاجم العشرات من النقاد المؤلفة و الكتاب معا ، و اتهموها بالتعصب للعرب و التحيز لهم . بيد أن أصدقاء العرب في كل مكان رفضوا مزاعم هؤلاء و ردوا على افترائهم ، فشهد الكتاب في عامه الأول معركة حامية لم يعرفها كتاب غيره في ألمانيا ، و قد لاقى وسط هذه الضجة نجاحا منقطع النضير فأعيد طبعه و ترجم إلى عدد من اللغات الأجنبية كما رحبت به الصحافة العربية ترحيبا بالغا .

و في صيف 1961 دعت الحكومة العراقية المؤلفة و زوجها لزيارة بغداد تقديرا لهما ، و في صيف 1962 زارت الدكتورة هونكا الجمهورية العربية المتحدة بناءا على دعوة حكومتها لهما ما اعرب عن تقديرها و عرفانها بالجميل لجهودها المتواصلة لخدمة العرب [2]

وفي سنة 1392 هـ / 1972 م حضرت زغريد الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامي ، فتحدثت عن هدفها الأساسي في كتابة مؤلفها الشهير " شمس العرب تسطع على الغرب" ، و هدفها هو إظهار للألمان و الغربيين مدى أهمية ما قدمه العرب للحضارة و الثقافة الغربية .

---

[1]) www. Diwanalarab.com/ spisp.php.3.article7094

[2]) زيغريد هونكة شمس العرب تسطع على الغرب، ص 08 ،

و إعادة الحق إلى نصابه لأن الرأي العام عند الغرب يعتبر مساهمة اليونان و الرومان كأساس لحضارته كذلك أرادت هونكه أن تبرز بأن العرب لم يكونوا فقط حاملي الحضارة القديمة و لم يكونوا همجيين و إنما كانوا ذوي حضارة كما انهم أنجزوا أشياء كثيرة ، وقدموا مساعدات إلى العالم الأوروبي على صعيد الطب والهندسة و علوم الثاقافة [1] .

عاشت المؤلفة مع زوجها و أولادها " في بون " ، في منزل أثثته على الطراز العربي لتشعر بسعادة غامرة ، و لتحس أنها تعيش في جو قوم أحبتهم حبا شديدا فربطتها بهم ثقافة إنسانية خيرة و فكر شمولي معطاء [2] .

وقد نالت هونكه عددا من الأوسمة و الأنواط حيث منحتها مصر وسام النجمة الكبرى تقديرا لجهودها في الدفاع عن القضايا الإسلامية ، وكان لها تقديرا كبيرا في العالم الإسلامي ، و تلقت أكثر من عشرين دعوة من رؤساء الدول والحكومات العربية و الإسلامية ، و كانت معروفة لدى وسائل الإعلام و الهيئات و المؤسسات الإسلامية ، و تستقبل و تودع بحفاوة أينما حلت ، قيل أنها أسلمت في آخر عمرها قبل عام أو عدة أعوام من وفاتها التي كانت في هامبورغ عام 1999 .

[1]) www. Diwanalarab.com/ spisp.php.3.article7094

[2]) زيغريد هونكة شمس العرب تسطع على الغرب، ص 08 ،

2/ **آراؤها و مؤلفاتها** : و مما قالت زيغريد نذكر :

- لا إكراه في الدين : تلك هي كلمة القرآن الملزمة فلم يكن الهدف أو المغزى للفتوحات العربية نشر الدين الإسلامي فحسب ، و إنما بسط سلطان الله في أرضه ، فكان للنصراني أن يظل نصرانيا و اليهودي أن يظل يهوديا كما كانوا من قبل، و لم يمنعهم أحد أن يؤدوا شعائر دينهم و لم يكن أحد لينزل أذى أو ضررا بهم .
- وبينما عاشت النصرانية في ظل الحكم الإسلامي قرونا طويلة في الأندلس و في صقلية و البلقان ، فإن انتصار النصرانية على الإسلام في الأندلس 1892 م لم يعن سوى طرد المسلمين و اليهود واضطهادهم و إكراههم على التنصر، و استئناف نشاط محاكم التفتيش التي قامت بمعاقبة كل من يتخذ الكاثوليكية دينا و يقوم بالحرق العلني في الإحتفالات الرسمية التي تحققها الطقوس و الشعائر الكنائسية لكل من اعتنق الإسلام و اليهودية ....
- وتقول كذلك أن الإسلام أعظم ديانة على ظهر الأرض سماحة و إنصاف نقولها بلا تحيز و دون أن نسمح للأحكام الظالمة بأن تلطخه بالسواد و إذا ما نحينا هذه المغالطات التاريخية الآثمة في حقه و الجهل البحث به فإن علينا أن

1 / شروط قيام الحضارة عند مالك بن نبي و زيغريد هونكة :

تقول الدكتورة زيغريد هونكة : إن الشّروط التي لا بد منها لنهضة العالم الإسلامي هي استرجاع الشخصية لبعث الحياة من جديد في [1] :

أ – اللغة العربية :كان من الواجب على كل من يعتنق الإسلام عن اختيار و رغبة أن يقرأ كتاب الله و يتلوه ، و أن يكتب و يتكلم لغة القرءآن التي هي لغة السادة الفاتحين و لغة الشعراء العرب الأقدمين ، و هنا وجب علينا أن نتنبه إلى أن متكلمي هذه اللغة لم يكونوا هم الطبقة الحاكمة ، و طوال قرون عديدة من غير توقف توالت هجرة العرب من الصحراء على شكل موجات متلاحقة من البدو وصلت لشمال إفريقيا و الصقلية و اسبانيا ، بعضهم من الفلاحين و العمال و ذوي الحرف ، و بعضهم الآخر من المتعلمين و الموضفين ، و اندمجوا جميعا وامتزجوا بشعوب فعرّبوها و طبعوها بطابعهم القوي المتميز و كان من الطّبيعي أن تصبح اللغة العربية لغة الإدارة و السياسة و القانون بل و لغة للتجارة والمعاملات و جمهور الناس و قد اندفع الناس الذي بقوا على دينهم في هذا التيار يتعلمون اللغة العربية بشرف حتى أن اللغة القبطية مثلا ، ماتت تماما بل أن اللغة الآرامية لغة المسيح قد تخلت إلى الأبدعن مركزها لتحتل مكانها لغة محمد صلى الله عليه و سلم ، و بعد احتلال المسيحيين للأندلس للمرة الثانية ارتأت الكنيسة نفسها مجبرة على أن تترجم الإنجيل لهؤلاء المسيحيين ، بعد تحررهم إلى اللغة العربية. [2]

وهكذا تحولت من لغة قبلية إلى لغة عالمية ، فاللغة ليست ثوبا نرتديه اليوم لنخلعه غدا ، قد وجدت اللغة العربية تجاوبا من جماعات و كونت تفكيرهم و مداركهم ، وشكلت قيمهم و ثقافتهم ، و طبعت حياتهم المادية و العقلية .

---

[1]) موسى عبد اللاوي الحضارة الاسلامية و اثارها على المدينة الغربية ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة 2008 ص 16-

[2]) زغريد هنكة شمس العرب تسطع على الغرب ص 367

و تضيف زيغريد في اللغة العربية " حقا أن قدرة هذه العقلية العربية على طبع الشعوب رائعة ". [1]

ب – الدين الاسلامي :

لا إكراه في الدين : هذا ما أمر به القرءآن الكريم ، وبناءا عليه فان العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام ، فالمسيحيون و الزراد شتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع الأمثلة للتعصب الدّيني ، و أفضعها ، سمح لهم جميعا لممارسة شعائر دينهم و ترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم و منازلهم دون المساس بهم بأذى .

إن السادة و الحكام و المسلمين الجدد لم يتدخلوا في الشؤون الداخلية لتلك الشعوب ، " فبطريررق " بيت مقدس كتب في القرن التاسع لأخيه " بطريرك" القسطنطينية عن العرب " أنهم يمتازون بالعدل و لا يظلمون ، و هم لا يستخدمون أي عنف ". [2]

لقد أعطى العرب لمن لم يعتنق الإسلام من شعوب البلدان التي فتحوها حرية الديانة و حريتهم كمواطنين .

ج – فهم التاريخ ووعيه من أجل إدراك العصر الحاضر و فهمها حق الفهم ثم تذكر زيغريد قائلة : " غير أن هذا كله لا يكفي للإندراج في العالم الحديث اليوم لأن النهضة الحقيقية بحاجة إلى الأصالة و التطور و الانفتاح على التطورات الكاملة في العالم الحديث " [3]. لتضيف زيغريد قائلة : " و الإسلام بالذات هو الذي أقام الدليل و سيقيم الدليل مرة أخرى على أنه غير مرتبط ارتباطا وثيقا بعصر واحد إنما هو دين يسموا عن الإقتران بالزمان و المكان" . [4]

---

[1]) ينظر:شمس العرب تسطع على الغرب ،ص 367-368

[2]) المرجع نفسه، ص 367

[3]) موسى عبد اللاوي الحضارة الاسلامية و اثارها على المدينة الغربية ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة 2008 ص 17

[4]) المرجع نفسه ص 17

لقد حلل مالك بن نبي تحليلا دقيقا ما يتعلق بفقه الحضارة ، و تبين أن انطلاقها يكون من داخلها ، فمنطلقاتها كامنة فيها و يرى أن الحضارة هي التي تلد منتوجاتها و ليس العكس و نستخلص من هذا أنها نتاج حضارة الإنسان زائد التراث زائد الوقت أو بعبارة أخرى الحضارة = الانسان + الوقت + التراث .

و بالتالي فمشكلة الحضارة تتشكل في ثلاث مشكلات أولية و هي : مشكلة الانسان، مشكلة التراث ، مشكلة الوقت .

- مشكلة الانسان : إن مشاكل الإنسان تختلف بإختلاف البيئات و الأوضاع التاريخية التي تحيط به ولا نرمي بهذا إلى دراسة مشاكل إنسان مجتمع معين ، و إنما نريد دراسة مشاكل الإنسان في كل مجتمع يسموا نحو التحضّر ، و ذلك لأنه يؤثر في المجتمع باعتباره فردا فيه بثلاثة مؤتمرات هي : الفكر ، و المال ، و العمل . [1]

و من الممكن أن نقلب الصيغة و نقول أن قضية الفرد في المجتمع منوطة بالتوجيه في نواح ثلاثة :

أ – توجيه الثقافة .

ب – توجيه العمل .

جـ - توجيه المال .[2]

- توجيه الثقافة : الثقافة كما هو معروف ميزة تخص الإنسان ، وبفضل التوجيه الثقافي يمكن للإنسان أن يساهم في قيام الحضارة باعتباره العنصر الأول من عناصر الحضارة و تركيبها ، و يكون قد

[1]) شايف عكاشة ، الصراع الحضاري في العالم الاسلامي ص 65

[2]) مالك بن نبي : شروط النهضة ص 113 – 116

أصبح ايجابيا ، و بالتالي يمكن أن يشرع في بناء الحضارة معتمدا على عنصرين أخرين (التراب و الوقت). [1]

- توجيه العمل : هو الحلقة الثانية لمشكلة الإنسان ، و يقصد به سير الجهود الجماعية في اتجاه واحد ، بما في ذلك جهد السائل و الراعي، و صاحب الحرفة ،والتاجر والطالب ، والعالم، والمراةوالنثقف والفلاح ..... لكي يضع كلا منهم في كل يوم ، نبتة جديدة في البناء بشرط أن يكون التوجيه المنهجي للعمل شرطا عاما أولا ثم وسيلة لكسب العيش بعد ذلك [2].و بهذا فعلى المجتمع أن يتقدم نحو أبواب الحضارة من أجل أن يهتم بعملية التوجيه العملي ، و ذلك من أجل كسب العيش و بعبارة أخرى على المجتمع أن يوضح للفرد أن العمل شرط أساسي ليس لكسب العيش فقط ، إنما هو عملية ضرورية تحقق للمجتمع لونا من ألوان التطور.
- توجيه رأس المال : إن الوضع في الدول النامية قد تغير حيث أمسى رأس المال يتمثل في كونه آلة اجتماعية تنهض بالتقدم المادي ، وليس آلة في يد فئة رأسمالية . نفهم من هذا أن توجيه المال في الدول النامية حاليا لا يتصل : (بالكم) فحسب بل بالكيف ، فالأفضل أن تكون كل قطعة مالية متحركة متنقلة حتى تخلف معها العمل والنشاط. أما الكم فيأتي في المرحلة الثانية بعد ما يأخذ المجتمع مستوى معينا من النمو الحضاري [3] .نستخلص من هذا أن توجيه رأس المال من أجل بناء حضارة جديدة لا يتطلب كمية كبيرة من المال و إنما يتطلب فقط كيفية التسيير توفر للمجتمع مالا ، ولو قلت

---

[1]) شايف عكاشة ، الصراع الحضاري في العالم الاسلامي، ص 65
[2]) مالك بن نبي : شروط النهضة ،ص 163-166
[3]) شايف عكاشة ، الصراع الحضاري في العالم الاسلامي، ص 68

نسبته فهو عامل ثانوي بالنسبة للإنسان بل أن العمل و المال منوطان بالإنسان ذاته لأن بفضل توجيهاته الثقافية يضاعف العمل فيتضاعف المال

- مشكلة التراب :

ليس المقصود هنا أن نبحث في خصائص التراب و إنما نريد أن نبحث في هذا العامل من حيث قيمته الاجتماعية و من حيث قيمته عاملا من عوامل النهضة الحضارية فمن الطبيعي أن تخضع مشكلة التراب لمشكلة الإنسان فالتراب مادة جامدة لا تتحرك إلا إذا حركتها قوة موجهة توجيها فنيا أو ثقافيا ، و هذا ما تؤكده مقارنة النهضة اليابانية بالسكون الأندونيسي ، فاليابان على الرغم من ضعف تربتها استطاعت أن تتقدم في مسيرتها الحضارية ، بفضل ما قام به الإنسان الياباني من تطوير أو تكييف عنصر التراب حسب ما فيه من فوائد و متطلبات اجتماعية في حين ظلت أندونيسيا تغط في تخلفها على الرغم من خصوبة أراضيها و غناها بالثروات المعدنية ، و السبب يرجع إلى موقف الإنسان نفسه من عنصر التراب أو أن السبب يرجع إلى وجود عنصر التحدي ، فبتعبير توينبي " يوجد عند الإنسان الياباني و لا يوجد عند الإنسان الأندونيسي. [1]

- مشكلة الوقت : يقصد بالوقت قيمته عند الإنسان و ليس الزمن المطلق ، فالإنسان الألماني استطاع أن يسترجع كل ما خربته له الحرب العالمية الثانية في وقت قصير جدا بعد أقل من عشر سنوات من انتهاء الحرب فأصبحت ألمانيا في مركزها السابق ، و السبب في هذا يخرج عن موقف الإنسان الألماني من الوقت الذي تمثل في مجموعة من الإجراءات منها على سبيل المثال ، مضاعفة ساعات العمل ، تقديس الوقت ، رفض الإهمال و التراخي في العمل .....

[1]) شايف عكاشة ، الصراع الحضاري في العالم الاسلامي ص 67

و النهضة الإسلامية نفسها انطلقت من مبدأ تقدير الوقت ، بل أن ازدهار الحضارة الإسلامية بسرعة هائلة يرجع وقت ذاك إلى تقديس الوقت عند المسلمين ، و نشير إلى أن تأخر بعض المجتمعات في بناء صرح حضارتها على الرغم من توفرها على جميع عناصر الحضارة ، لا يمكن في عدم عنايتها لمشكلة الإنسان الذي يعتني بدوره بمشكلة الوقت و التراب فحسب ، و إنما يكمن السر أيضا في فقدان هذه العناصر لعنصر رابع يقوم بعملية التركيب و الربط بينهما و هو العامل الأخلاقي .[1]

- العامل الأخلاقي : إن كل حضارة تستلزم لما مر من رأس مال أولي يتركب من الإنسان و التراب و الوقت ، و تحتاج هذه العناصر الأساسية بدورها إلى العامل الأخلاقي الذي يحتم تماسكها و يؤثر في مزجها بعضها ببعض .

و المقصود بالعامل الأخلاقي ليس ما سبقت الإشارة إليه في باب عناصر الثقافة تحت اسم (التوجيه الأخلاقي) ، بل يقصد به هنا مبدأ معين يتشبث به أفراد المجتمع ، و قد يكون فكرة أو مشروعا معينا ، يستحود على عقول أفراد المجتمع و يؤلف بينهم لتحقيق هدف معين .[2]

و الغاية الأولي للمركب الأخلاقي تكمن في كونه العنصر الأساسي لتكوين شبكة العلاقات الإجتماعية ، ذلك ما يؤكده مالك بن نبي بقوله : " و جميع القوانين التي أملتها السماء ووضعتها محاولات البشر هي في حقيقة الأمر إجراءات دفاعية لحماية شبكة العلاقات الاجتماعية ، و بدونها لا تستطيع الحياة الإنسانية أن تستمر، لا أخلاقيا و لا ماديا ".[3]

---

[1]) ينظر: شايف عكاشة، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي، ص 67 .
[2]) المرجع نفسه ص 68 .
[3]) المرجع نفسه ص 70 .

المبحث الثّاني:نظرة مالك بن نبي للإصلاح و ما أدلت به زيغريد عن فضل العرب

إن المنهج الذي يريده مالك بن نبي هو المنهج الذي يمكن للإنسان المسلم المعاصر من تجاوز مشكلاته التي تواجهه ، و بما أن جملة المشكلات التي تواجه الإنسان المسلم إنما مردها إلى مشكلة أساسية واحدة تتفرع عنها باقي المشكلات وهي (مشكلة الحضارة) [1]، و الحضارة عند مالك بن نبي هي: " كل منسجم من الأشياء و الأفكار بصلاتها و منافعها و ألقابها الخاصة و أماكنها المحددة " . كما يذكر قائلا: "إنني أومن بالحضارة على أنها حماية للإنسان لأنها تصنع حاجزا بينه و بين الهمجيين " [2]. وبالتالي الحضارة لا يمكن استيرادها و إنما لابد من إبداعها عن طريق تركيب العناصر الثلاثة : الإنسان ،الزمن والتراب ، فالعقيدة الدينية هي التي تقوم بدور المركب و في هذا يقول ابن نبي : " فدورة الحضارة إذن تتم على هذا المنوال ، إذ تبدأ حينما تدخل للتاريخ فكرة معينة ، أو عندما يدخل التاريخ مبدأ أخلاقي معين على حد قول " كسرلينج" كما أنها تنتهي حين تفقد الروح نهائيا الهيمنة التي كانت لها على الغرائز المكبوتة و المكبوحة"[3] .

فإذا جئنا لتطبيق الدورة الحضارية هذه على الحضارة الإسلامية نحصل الرسم الآتي :

---

[1]) محمد دراجي ، الحركة الاصلاحية في الجزائر ، رجال و افكار ص 114

[2]) موسى عبد اللاوي الحضارة الاسلامية و اثارها على المدينة الغربية ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، عنابة 2008 ص 13

[3]) محمد دراجي ، الحركة الاصلاحية في الجزائر ، رجال و افكار ص 114 115

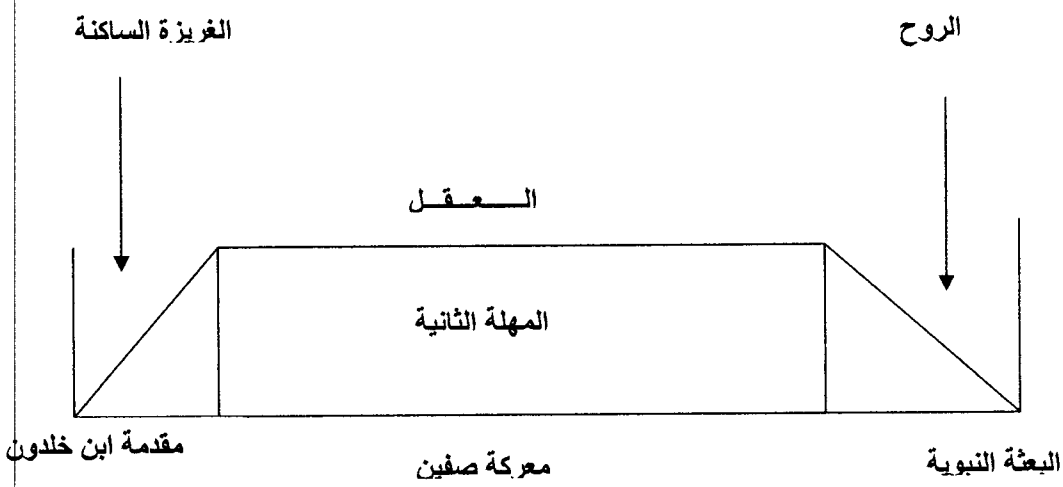

و بما أن الدين هو الذي يقوم بدور المركب بين عناصر الحضارة الثلاثة ، فقد كتب بن نبي عن أثر العقيدة الدينية في بناء الحضارة ، و بما أن العالم الإسلامي قد دخل مرحلة ما بعد الحضارة منذ عصر ابن خلدون أو عصر ما بعد الموحدين بتعبير الأستاذ مالك دائما، فالمطلوب لإحداث البعث هو الدفعة الروحية ، و لكن المدرسة الإصلاحية(جمال الدين الأفغاني ، محمد عبده ، رشيد رضا) رحمهم الله جميعا لم تهتم بالرّوح – بنظر ابن نبي – و إنما انطلقت مباشرة إلى مرحلة العقل ، و عليه فقد تخطت مرحلة جوهرية من مراحل التطور الحضاري ، و هي مرحلة الروح القائمة على تغيير ما بالأنفس .[1]

و عليه فجمال الدين في نظر الأستاذ مالك بن نبي قد ركز على الجانب السياسي للمشكلة الإجتماعية ، " حين جاهد في سبيل إعادة التنظيم السياسي للعالم الإسلامي

[1] ينظر: محمد دراجي ، الحركة الاصلاحية في الجزائر ، رجال و افكار ص 115.

قصد بذلك التنظيم ... تنظيم جموع الشعب و إصلاح القوانين دون أن يقصد إلى إصلاح الإنسان الذي صاغه عصر ما بعد الموحدين "[1].

و الشيخ محمد عبده رحمه الله قد ركز على الزاوية الإجتماعية من المشكلة و هو على حد تعبير ابن نبي : " يعلم علم اليقين أنه لكي يتحقق الإصلاح ، يجب أن يبدأ خطوته الأولى من الفرد ..... إن نفس الفرد هي عنصر جوهري في كل مشكلة اجتماعية ، فكيف نغير هذه النفس ؟ هنا يتدخل عقل الشيخ محمد عبده الأصولي فلقد ظن كما ظن فيما بعد الدكتور محمد إقبال أن من الضروري إصلاح علم الكلام بوضع فلسفة جديدة حتى يمكن تغيير النفس .... و علم الكلام لا يتصف في الواقع بمشكلة النّفس إلا في ميدان العقيدة و المبدأ و المسلم لم يتخلى مطلقا عن عقيدته ..... "[2]، و عليه فليست المشكل أن نعلم للمسلم عقيدة هو يملكها و إنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها و قوتها الإيجابية و تأثيرها الاجتماعي ، وفي كلمة واحدة : " أن مشكلتنا ليست في أن نبرهن للمسلم على و جود الله بقدر ما هي أن نشعره بوجوده و نملأ به نفسه ، باعتباره مصدر للطاقة و تغيير النّفس معناه قدرتها على أن تتجاوز وضعها المألوف و ليس هذا من شأن علم الكلام " [3].

فالإصلاح الحقيقي عند الشيخ محمد عبده عندما توجه إلى إصلاح التعليم في الأزهر حيث أدى بالمشكلة إلى المرحلة الفكرية إلى الحضارة ، فهو بذلك يتخطى مرحلة جوهرية من مراحل التطور هي : المرحلة الروحية التي تؤدي إلى تغيير الفرد و تؤدي إلى تغيير يمكن أن تتعرض له القيم الإجتماعية .... [4]

أما زيغريد هونكه فرجعت إلى السلف و هو المبدأ الذي نادت به مبينة في هذا الصدد أهمية العلم و العلماء في شتى التخصصات التي قام بها العرب قديما

---

[1]) مالك بن نبي وجهة العالم الاسلامي ، ص 52-53 .
[2]) محمد دراجي ، الحركة الاصلاحية في الجزائر ، رجال و افكار ص 116
[3]) مالك بن نبي وجهة العالم الاسلامي ص 54-55
[4])ينظر: المرجع نفسه ص 176

كالكتب التي كتبت للأطباء الجدد من بغداد و قرطبة ، التي صنعت التاريخ و مدت أجيالا من الأطباء الأوروبيين بالمعارف المبتكرة الناضجة بشكل لم يكن يحلم به أكبر المؤلفين طموحا و أكثرهم إلى العلى تطلعا ، حيث كان الطب في كل البلدان العربية يسخر كل ساعة في الكفاح ضد الداء و الموت بصورة عملية ، فكانت العناية بالمرضى أمرا طبيعيا و عاملا اجتماعيا و المستشفيات العربية بلغت شأنا عظيما لا مثيل له في العالم .[1] ومن هذا المنطق قد بينت أهمية الكتب العربية قائلة: "لقد امتازت كتب العرب ، على أنواعها المختلفة من كتب مختصرة إلى موسوعات ضخمة و من جداول للطلاب في شكل أسئلة و أجوبة في كتب تمهيدية و لوائح جمعوا بين دفتيها كل معارف العصور السابقة و العصور الحاضرة منظمة كأحسن ما يكون التسلسل ، و مشروحة في تفصيل جعل منها ثمرة سائغة في متناول الجميع و كل من سعى وراء العلم " [2] نقول لقد امتازت الكتب هذه بروح علمية أصيلة و عبرت عن موهبة منهجية نظامية رائعة و عبقرية خلاقة . كانت زيغريد توضح كل ما غمض و تمعن في وصف دقيق لكل العوارض وإشكالها و تطورها و قد بين فضلها العضيم مؤرخ الطب " نوبورجر" حين قال : " أن العرب هم الذين أدخلوا النور و الترتيب على تراث القدماء الذي طالما اكتنفه الغموض و نقصه التسلسل و ما كان النقل الآلي لفقرات و تجميع المعلومات واضطراب المخطوطات الكثيرة لدى البيزنطيين ما كان كل هذا ، صنف العرب كتبا مختصرة جامعة عظيمة التماسك صبوا فيها كل المواد الدراسية خاصة وعرفوا كيف يقدمون العلوم في أشكال سهلة و صاروا في لغتهم الحية التي لم

[1]) زغريد هونكة شمس العرب تسطع على الغرب ص 283.
[2]) المرجع نفسه ص 285 – 286 .

تمت فيها كلمة تعابير علمية مثالية " [1] ولهذا كله قد فضلهم الغربيون أول الأمر على غيرهم فأصبح العرب أساتذتهم الذين أخذوا عنهم معارفهم الطبيّة .

كل هذا يعتبره مالك مزلقة لا تؤدي بالإنسان إلى مرحلة من الوعي ، و ينتهي إلى أن الحركة الإصلاحية لم توضف العلم آلة للتغيير، وإنما اكتفت بإيجاد متخصصين في شتى العلوم و التخصصات كعلم الكلام ، التوحيد، الفقه ... الخ، وعليه يقول مالك : " العلم في الأعم الأغلب لم يكن آلة للتغيير بقدر ما كان زينة و أسلوبا و ترفا ". [2] لقد كان من أثر الحركة أن تجددت القيمة القرءآنية في ذاتها، فأصبحت قيمة نشطة، ووسيلة فنيّة لتغيير الإنسان، و في هذا الصدد يقول ابن نبي : "فالحركة تخص العالم الإسلامي من حيث محاولة من محاولاته التي يهدف بها إلى التخلص من فوضاه الراهنة، وهي تعتبر في التاريخ الإسلامي المعاصر أول محاولة إيجابة لإستحداث تركيب عضوي تاريخي ، ربما تمخضت عن تجميع أفكار العالم الإسلامي المعاصر، وطمعتها بإدخال العنصر الصناعي الحديث في حركة تطوره ، بل و ربما كانت هي العامل الحاسم الذي ينشأ جسرا عبر التاريخ..." [3]

[1]) ينظر:زيغريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ،ص 286 .
[2]) مالك بن نبي وجهة العالم الاسلامي ص 96 .
[3]) المرجع نفسه ص 183.

المبحث الرابع :أضرار الحضارة الغربية بعد انهيار الحضارة الإسلامية

إن الواقع الإستعماري قد ألحق الضرر بالمسلمين كما ألحقه بالإنسانية ، حينما تخلف الضّمير عن العلم و عن حركة الفكر بعدما كان هذا الشّغب قد أثر بقوة على مجري الأحداث العالمية و يدين له الغرب كما تدين له الإنسانية كافة بالشيء الكثير.[1] و قد بلغ الإنسان العربي أوجه الإزدهار في العلم و الفكر والفنون و الإختراعات و الآداب ..... ليست كما هي مأسات العصر الآن فالضمير في المخزون المسيحي الروحي لم يمثل ما حققه العلم من مخترعات فبقي عاجزا عن مواجهة الفجوة التي كانت تفصله عن النزعة العقلية الناتجة عن التطور العلمي ، فأوروبا التي قامت بدور التلميذ الساحر و أبدعت الآلات صارت الحياة عندها أرقاما و صار العالم عصر"كم " يخضع فيه الضمير للنزعة الكمية .[2]

فمالك بن نبي في كتابه وجهة العالم الإسلامي ، ربط بين الضمير و الإنتاج طبق المعادلة الإنسانية لمبدأ القرآن :" تغيير النفس باتجاه الايمان بالله والإستقامة في الأداء الإجتماعي و الإقتصادي" بحيث تزول الفجوة نهائيا بين الضمير و العلم من أجل استقامة الحياة على هذا الكوكب الكوني ، و قد لاحظ هذا الجانب الكاتب السوسري "boizard" في كتابه الإنسانية في الإسلام l'humanisme dans l'islame حينما شرح المفهوم الإسلامي بمعنى الوحدة الإجتماعية في فصل " المدينة الإسلامية " فشبكة العلاقات التي تطور في داخلها الضمير في علاقته مع الإنتاج الإجتماعي تنطلق أساسا من مفهوم

[1]) زغريد هونكة شمس العرب تسطع على الغرب ص 11
[2]) عمر المسقاوي ، مقاربات حول فكر مالك بن نبي من على منبر الجزائر ص 230

الروحي و قانونه الإلهي و ليس من الإختيار الفردي الذي تنامى في الإطار الأوروبي و أخرج الإنسان عن مداره الكوني .[1]

فالإنسان يمثل في المصدر القرآني وحدة متكاملة غيبية في تفاصيلها و متميزة في تنوعها و لكنها متداخلة و بسيطة في النهاية .

فالله هو المطلق كلي القدرة و الإرادة و من هنا فالقدرة المطلقة تجعل كل شيء نسبيا في فعل الانسان و هكذا يتدخل الغيب الإلهي في النهاية في قدرة الإنسان فيبدأ عالم الأخلاق حيث يمسك الحساب الإلهي نهاية الحياة كأساس و معيار سلوكه لمدى طاعته للقانون الإلهي .

و من خلال هذا المفهوم فالإنسان لديه امتياز خاص بين سائر المخلوقات هو الإستجابة لله عز و جل و أعطي هذا المفهوم القيمة المطلقة لتكريم الإنسان.[2]

هذا التحديد لقيمة الإنسان في الحضارة الغربية يختلف جذريا عن المفهوم التقليدي فالحقوق و الواجبات في ثقافة الغرب تعتمد على معايير مختلفة آمرة أو شخصية تقليدية أو ظرفية تتغير مع تطور المجتمع و ظروفه الخارجية ، بينما المبادىء القرآنية للعدالة و الشرف و تضامن الإنسانية الكونية تنشىء واجبات في قانون إلهي نزل به الوحي ، يجعل كل عضو في المجتمع الإسلامي يمارسها على انفراد و مراقبة ذاتية .

إن معنى كونية الإنسان في إطار النظام الإلهي هو الذي بقي في عمق البنية الأساسية للمعنى الذي قامت عليه الحضارة الإسلامية ، و الذي أشار إليه مالك بن نبي حينما رآه في روحانية و أصالة الجزائري المسلم في الحياة الأسرية والإجتماعية في – آفلو – الجزائر في العشرينات كما ذكر في كتابه يوميات

---

[1]) ينظر:عمر المسقاوي ، مقاربات حول فكر مالك بن نبي من على منبر الجزائر ،ص 232 .

[2]) المرجع نفسه ص 233

شاهد للقرن ج 1 ، ثم في قصتة " لبيك" و من هنا نفهم رؤية بن نبي لمستقبل الحضارة الإسلامية من خلال الإسلام كقيمة كونية .[1]

و في هذا الصدد تقول زيغريد هونكه في كونية الإنسان :" بأن حلم العرب وشهامتهم حتى مع أعدائهم و مخالفين لهم في العقيدة ليست بجديدة عليهم ، فجذورها تمتد بالفتى العربي إلى ما قبل عصر الإسلام. فالعربي الإنسان طيب الخلق كريم السجايا و بدخول الضيف أو الغريب اللاجىء يجب إكرامه و توفير أسباب الراحة له و حمايته و لو كان هذا اللاجىء أشد أعداء القبيلة عداوة .... [2]

فاستطاع العربي بإيمانه العميق أن يكون أربلغ سفير و داعية لديانته بالتبشير وإيفاد البعثات و إنما بخلقه الكريم و سلوكه الحميد [3].

[1]) عمر المسقاوي ، مقاربات حول فكر مالك بن نبي من على منبر الجزائر ص 238
[2]) زغريد هونكة شمس العرب تسطع على الغرب ص 365
[3]) المرجع نفسه ص 366

خاتمة

إن التعادل مسألة هامة، تفرضها الروح القرآنية التي تحمل على التآخي والبعد عن الظلم بين الناس فعلى هذا الأساس نقول أن مالك بن نبي قد بادر في مهامه الإصلاحية إلى الغوص في أعماق الثقافة الإسلامية المتمثلة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم،وكذلك إلى الدراسة الواعية للتاريخ الإسلامي والغربي، ففكرة الإصلاح سواء في الشاطئ الشرقي أو الغربي حملت كمصطلح يعكس أفكارا مضمرة في إطار الحالة الاستعمارية فهي تتجلى في وجهين من التجسيد.

الوجه الأول: عدم ملائمة الحالة الإسلامية المعاشة في تخلفها مع مفهوم التقدم الجاري أمام الأعين في نموذج الغرب المستعمر .

الوجه الثاني: عدم التناقض من الوجهة العقلانية بين الأصل الإسلامي الذي تخلف عنه المجتمع مع نموذج التقدم الأوربي الهيكلي في فاعلية حضوره سواء في نظام الداء أم في ثراء العطاء.

وعلى حد تعبير زيغريد هونكه فقد كان ظهور الإسلام وتوسعه عاملا أنقد الكنيسة من الإنحدار و أزعمها على إعداد نفسها لمواجهة تلك القوى المعادية دينيا وفكريا وماديا وهكذا فقد كانت زيغريد منصفة للإسلام وحضارته في كل ما كتبت من كتب وأبحاث ولم يمنعها انتماؤها للغرب وحضارته أن تقول كلمة الحق وتعلي من شأن الإسلام دون محاباة أو تحيز.

لقد بقي الغرب في تأخره ثقافيا واقتصاديا طوال الفترة التي عزل فيها نفسه عن الإسلام ولم يواجهه، ولم يبدأ إزدهار الغرب ونهضته إلا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسيا وعلميا وتجاريا، واستيقظ الفكر الأوربي على قدوم العلوم والآداب والفنون العربية من سباته الذي دام قرونا ليصبح أكثر غنى وجمالا وأوفر صحة وسعادة.

ولئن كان التقارب بين الشرق والغرب في فترات متباعدة، قد أدى إلى نقل الحضارة العربية إلى أوربا لتبدأ نهضة الغرب فإن التنازع الدائم بينهما قد مثل هو الآخر دوره في شحذ الهم.

فعلى الرغم من اعتراف زيغريد لما قدمه العرب من حضارة وتأثيرها على الحضارة الأوربية في مجالات شتى من طب وهندسة وعلم الفلك وغيرها، إلا أن مالك بن نبي يرى أفكارها أفكارا ميتة لأنها تتحدث وتعترف بالماضي بدون تغيير أو إصلاح فمالك يسعى إلى آلة التغيير والتي تكمن في النفس وهكذا وقع الإصلاح بين حدي السهل والمستحيل : فالسهل يكمن في إعادة نموذج الدولة الإسلامية، والمستحيل في المعاصرة والإسهام ببناء حضور على المستوى العالمي ، فمالك بن نبي كان يرى السهل غير سهل والمستحيل غير مستحيل في بنية الاقتباس من الحضارة الغربية ومرد ذلك هو التخلف المصاحب لمشاعر الاكتفاء وحده ، الذي يحيط بمبادراتنا في طابعها وطبيعتها.

وأخيرا نرجو أن نكون قد تمكنا من الإلمام ببعض الجوانب الهامة فيها، طامحين إلى التعلم والإستفادة من أخطائنا التي يبقى على أساتذتنا الكرام تصويبها وتقويمها والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

1 – ابـراهيم محجـوبي، الاستشـراق و الإسـلام (المطارحـات النقديـة للطـروح الاستشراقية) أكادمية الفكر ط1 ،2010-

2 – ابراهيم سعدي ، المجتمع العربي نظرات في الفكر و الثقافة ، طبع بالمؤسسة الوطنية ، الرغاية ، الجزائر ، 2009

3 – ابن منظور ،لسان العرب ، دار صادر ، ط 1 ، بيروت ، 1410 ، 1990

4 – ابن نبي مالك، تأملات ، دار الفكر ، دمشق ، 1986 ،

5- ابن نبي مالك ، المسلم في عالم الإقتصاد، دار الفكر المعاصر ، ط3 ، بيروت 1987 .

6- ابن نبي مالك ،ترجمة عبد الصبور شاهين، وجهة العالم الإسلامي ، دار الفكر، دمشق ، 1406 -1986 .

7- ابـن نبـي مالـك ، مـيلاد المجتمـع ، شـبكة العلاقـات الاجتماعيـة ، دار الإنشـاء للطباعة و النشر ، طرابلس لبنان ، 1974 .

8- ابن نبي مالك ، مشكلة الأفكـار فـي العـالم الإسـلامي دا رالفكر دمشق ، ط 3 ، 1988 .

9- ابن نبي مالك ، مشكلة الثقافة، دار الفكر ، 1969.

10- ابـن نبـي مالـك ، الفكـرة الآفروأسيوية ، وزارة الإعـلام و الإتصـال القـاهرة، 1956.

11- ابن نبي مالك ، شروط النهضة ، دار الفكر ، دمشق 1978 .

12- ابن نبي مالك ، بين الرّشاد و التيه ، دار الفكر ، دمشق ، 1986 .

13- ابن نبي مالك، فكرة كمنولث الإسلامي ، مكتبة عمار ، القاهرة ، 1971.

14 - ابن نبي مالك ، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، ط 3 الجزائر 1988.

15-ابن نبي مالك، مذكرات شاهد القرن الطالب، طرابلس- لبنان ، دار الفكر، 1403-1983.

16- أحمد أمين ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان .

17 – أحمد رضا بك ،ترجمة محمد بورقيبة و محمد صادق الزمرني، الخيبة الأدبية في السياسة الغربية في الشرق ، ترجمة محمد بورقيبة ، دار بو سلامة للطباعة و النشر ط 2 تونس .

18 – آمنة تشيكو ، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي و أرنولد توينبي

20- أسعد السحمراني ،مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا، دار النفاس ببيروت ،ط 1، 1404 – 1984 ط 2 /1406-1986 .

21– ابن ابراهيم الطيب ، مواقف و أفكار مشتركة بين مالك بن نبي و ابن خلدون، دار المدني .

22 – د. الجميل الحاج ، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي و الاجتماعي،مكتبة لبنان .

23 – د. حامد عمار، الإصلاح المجتمعي ، إضاءة ثقافية و اقتضاءات تربوية ، مكتبة دار العربية للكتاب، ط 1 – 1426 – 2006

24- رواء زكي الطويل ، مبادلات التغيير و الإصلاح في الأمن الدولي ،دار الأيلة ،للنشر و التوزيع.

25- الزبدي ، تاج العروس ،من جواهر القاموس تحقيق علي بشيري، دار الفكر، ط 1، سنة 1994 ،ج 13 .

26– زكي ميلاد ، مالك بن نبي و مشكلات الحضارة ، دراسة تحليلية و نقدية ، دار الفكر ، دمشق ط 1 – 1998 .

27– زيغريد هونكه، ترجمة كمال تسوقي و فاروق بيضون ،شمس العرب تسطع على الغرب، دار الصادر بيروت ، ط10 ، 1423 – 2002 .

28– سعد المرصفي ،المستشرقون و السنة، مكتبة المنار ، الكويت ، ومؤسسة الريان ، بيروت ، لبنان .

29– سلامة صالح نعيمات و آخرون ، الحضارة العربية الإسلامية ، الشركة العربية المتحدة ، 2008 -2009 .

30 - شايف عكاشة ، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، .1993

31– شريف دلاور ، القضايا و معالم في طريق الإصلاح الإقتصادي، المكتبة الأكاديمية، ط1 ،القاهرة، 1994 .

32– صابر طعيمة ، أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي ، ط 1،بيروت، 1404 / 1984 .

33- عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، دار القلم ، بيروت ط 5 1984

34- عبد الرحمان حسن ، حبنكة الميداني ، أجنحة المكر الثلاثة و حوافيها ، دار القلم، ط8، دمشق، 1420 – 2000 .

35 – عبد الإله بلقزيز ، الخطاب الإصلاحي في المغرب، دار المنتخب العربي، بيروت ،ط 1 ،-1426 – 2006 .

36 – محمد عبد الحكيم ، مع العقيدة و الحركة و المنهج في خير أمة أخرجت للناس ،الرياض،ط1978،1.

37– د عمر بن قتيبة ، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية ، معهد الأدب العربي، الجزائر، 1993 .
38-عمر المسقاوي،شاهد القرن،
39 – محمد حسين علي الصغير ، المستشرقون و الدراسات القرآنية ، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط 1 ،بيرو ت، 1981
40- محمد الدراجي ، الحركة الإصلاحية في الجزائر رجال و أفكار ،
41– محمد راشد ، العبور الى المستقبل،الأوائل للنشر والتوزيع ،سوريا،دمشق،ط1، 2006
42- محمد صالح الصديق ، الإجتهاد و التجديد في الفكر الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2009 .
43– محمد فتح الله الزيادي، انتشار الإسلام و موقف المستشرقين منه، دار القتيبة للطباعة و النشر ، ط 1 ، 1990/1411 .
44- محمد منبر مرسي ، الإصلاح و التجديد التربوي في العصر الحديث ، ط 1996 .
45– محمود الخالدي، التفكير بداية الطريق إلى النهضة ، شركة الشهاب ، 1989
46- موسى عبد اللاوي، الحضارة الإسلامية و أثرها على المدينة الغربية، دار العلوم للنشر و التوزيع ،عنابة، 2008 .
47- يوسف الحسين، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث ،دار التنوير،ط 1، 2004.

قائمة المذكرات:

1- رابح سنايسي، الفكر الديني المعاصر في الجزائر ،رسالة دكتوراه دولة، كلية الأداب و العلوم الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2000-2001 .

2- عمارة حياة ،الإتجاه الإصلاحي في شعر محمد العيد آل خليفة ،رسالة ماجستير،2001-2002 .

3- الكبار عبد العزيز ، قراءة معرفية لمفهوم الثقافة عند مالك بن نبي ، رسالة ماجيستير، 2001-2002 .

4- شبكة الأنترنيت:

www. Diwanalarab.com/ spisp.php.3.article7094

الفهـــــــــرس

تشكرات.
إهداءات.
المدخل.....01- 07
الفصل الأول:الإصلاح الحضاري عند مالك بن نبي.....8 - 40
المبحث الأول:نبذة تاريخية عن حياة مالك بن نبي
1- مالك بن نبي مولده و نشأته و تعليمه.....09
2- مصـــــادر فـــــكره.....13
3- رجال الإصلاح في فكر مالك.....15
4-مؤلّفاته.....18
المبحث الثّاني:أسس المشروع الإصلاحي.....21
المبحث الثّالث:أنواع الإصلاح الحضاري عند مالك بن نبي
1-الإصلاح الدّينـــــي.....24
2-الإصلاح السّياســي.....28
3-الإصلاح الإقتصادي.....32
المبحث الرّابع:نظريّات الإصلاح الحضاري في فكر مالك بن نبي
1-النظريّة النفسيّة الحضارية.....35
2-نظريّة التغييـــــــــــر 36
3-النظريّة الوسطيّـــــــــة.....37
4-النظريّة الإجتماعيّة الحضارية 37
5-النظرية المعيارية الحضارية.....39
الفصل الثاني:نظرة زيغريد هونكه للإصلاح.....41 - 69
المبحث الأول: ماهية الاستشراق
1-مفهوم الاستشراق..... 42
2-النشأة و المراحل.....43
المبحث الثاني:نبذة تاريخية عن حياة زيغريد هونكه
1 – حياتها :.....49
2 – آراءها ومؤلفاتها:.....52
المبحث الثالث: أهمية العلاقة بين العرب والغرب عند
زيغريد.....55

المبحث الرابع: تأثر الغرب بالحضارة العربية الإسلامية
1 – الصناعة والتجارة.....58
2 – العقيدة والدين.....64
3 – العلوم الأخرى.....65
الفصل الثالث: .....70 - 84
المبحث الأول: شروط قيام الحضارة عند زيغريد هونكه ومالك بن نبي.....71
المبحث الثاني: نظرة مالك بن نبي للإصلاح وما أدلت به زيغريد هونكه.....77
المبحث الثالث: أضرار الحضارة الغربية يعد انهيار الحضارة الإسلامية.....82
الخاتمة:.....85
قائمة المصادر والمراجع.....88
الفهرس:.....93